أبطال العرب فى الجاهلية

عبد العزيز الشناوي

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

تليفون: ٣٥٧٨٨٢

عمرو بن معد يكرب

*** نسبه:**

هو عمرو بن معد يكرب بن عبد الله بن عمرو بن عاصم بن عمرو بن زبيد الأصفر.

*** كنيته:**

يكنى أبا ثور.

*** شجاعته:**

كان عمرو بن معد يكرب الزبيدى فارس العرب فى الجاهلية، وكانت شجاعته معترفا بها بين العرب، وكان أبوه معد يكرب بن عبد الله بن عمرو من سادات بنى زبيد، وكان من الفرسان المعدودين فى الجاهلية، وكان لا يتوسم خيرا فى ولده عمرو **إذ كان يراه شابا لاهيا عابثا أكولا منصرفا إلى الشراب فلقبه بالمائق** ـ أى الأحمق الذى لا يصلح لشىء ـ

وذات يوم بلغ بنى زبيد أن قبيلة خثعم سوف تغير عليهم، فجمع معد يكرب بنى زبيد وتأهب لصد قبيلة خثعم، ودخل عمرو على أخته فقال لها:

ـ أشبعينى إن غدا الكتيبة ـ الحرب والنزال ـ

فلما جاء أبوه معد يكرب أخبرته ابنته بقول عمرو فقال:

ـ المائق يقول ذلك؟

قالت بنت معد يكرب:

ـ نعم

قال الأب:

ـ فسليه ما يشبعه.

فسألت الأخت أخاها فقال عمرو بن معد يكرب:

- فرق - الفرق مكيال معروف - من ذرة وعنز رباعية.

فصنع له ذلك وذبح العنز وهيء له الطعام فجلس حتى أتى عليه كله ثم نام.

وجاء الصباح وأتتهم خثعم مغيرة فالتقت بها زبيد، واشتد القتال، فاستيقظ عمرو بن معد يكرب فرفع رأسه **ونظر فرأى لواء أبيه مرفوعا**، فعاد ونام.

وبعد فترة رفع عمرو رأسه **ونظر فرأى راية أبيه قد سقطت** فهب مندفعا نحو **القتال كالنار المستعرة** فلقى أباه راجعا منهزما فقال له:

- انزل عن فرسك فاليوم ظلم

فقال الأب:

- إليك يا مائق

فقال له بنو زبيد:

- خله أيها الرجل وما يريد، فإن قتل كفيت مؤنته، وإن ظهر فهو لك.

فألقى الأب سلاحه إلى ابنه عمرو فركب ورمى خثعم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم، ثم كر عليهم وفعل ذلك مرارا، وحملت عليهم بنو زبيد حملة رجل واحد فانهزمت خثعم وقهروا، **فلقب عمرو يومئذ بفارس زبيد** .

*** أبرز فرسان الجاهلية.**

يقول عمرو بن معد يكرب الزبيدى:

- لو سرت بظعينة - امرأة فى هودج - وحدى على مياه معد كلها ما خفت أن أغلب عليها، ما لم يلقنى حُرّاها أو عَبْدَاها: فأما حراها فعامر بن الطفيل، عتبة ابن الحارث بن شهاب، وأما عبداها: فأسود بنى عبس - يعنى عنترة بن شداد -، والسليك بن السلكة، وكلهم قد لقيت.

*** عمرو بن معد يكرب وربيعة بن مكدم.**

لقى أبو ثور إحدى الظعائن فأراد أن يأخذها فاذا ربيعة بن مكدم أحد فرسان العرب العظام فعرف عمرو أن الظعينة هى أخت ربيعة، وقبل أن يفر عمرو بن معد يكرب طعنه ربيعة بن مكدم فألقاه عن فرسه وأخذ فرسه، ولقيه عمرو بن معد

يكرب مرة أخرى ولكن ربيعة بن مكدم ضربه فوقعت ضربة السيف فى قربوس - حنو السرج - فقطعته حتى عض السيف بكائبة الفرس.

فسالم أبو ثور ربيعة بن مكدم وانصرف

*** هل كان أبو ثور متهورا؟**

رغم شجاعة عمرو بن معد يكرب وقوته فقد جاء أن الصمة بن بكر أغار على بنى زبيد، **فاستاق إبلهم وسبى ريحانة أخت أبى ثور، وانهزمت زبيد،** فتبعه عمرو وأخوه عبد الله بن معد يكرب، ثم رجع عبد الله وأتبعه عمرو وأخذ يناشده أن يخلى عن أخته فلم يسمع الصمة بن بكر لقوله، فلما يئس عمرو بن معد يكرب رجع وأخته تناديه بأعلى صوتها:

- يا عمرو.

ولكن عمرو بن معد يكرب لم يستطع أن ينتزعها من أيدى الصمة بن بكر ومن معه ثم قال أبو ثور:

أمن ريحانة الداعى السميع ... يؤرقنى وأصحابى هجوع
سباها الصمة الجشعمى غصبا ... كان بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس ... تكشف عن سواعدها الدروع
إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

حتى إذا تمكن من عدوه انقض عليه انقضاض الباشق على الفريسة.

فها هو يرجع وقد سبيت أخته ريحانة، ولكنه عندما عاد جمع من يثق بهم من فرسان قومه وكر خلف الصمة بن بكر حتى استعاد أخته ريحانة.

*** الكر والفر عند عمرو بن معد يكرب.**

كان أبو ثور يتحدث عن فراره إذا لم يجد فيه عيبا، وذلك عندما يشعر أنه لا يستطيع أن يستمر فى النزال والقتال، فقد لقى مرة بنى عبس فى أبطالهم ففر عنهم وفى هذا يقول:

لقيت أبا شاس وشاسا ومالكا ... وقيسا فجاشت من لقائهم نفسى
لقونا فضموا جانبينا بصادق ... من الطعن مثل النار فى الحطب اليبس
ولما دخلنا تحت فىء رماحهم ... خبطت بكفى أطلب الأرض باللمس
وليس يعاب المرء من حين يومه ... إذا عرفت منه الشجاعة بالأمس

*** إسلامه:**

قدم عمرو بن معد يكرب الزبيدى فى عشرة من زبيد إلى مدينة رسول الله ﷺ ، وكان أبو ثور آخذا بزمام راحلته فقال:

ـ من سيد أهل هذه البحرة من بنى عمرو بن سالم؟

فقيل له:

ـ سعد بن عبادة

فأقبل يقود راحلته حتى أناخ ببابه، فخرج إليه سعد بن عبادة ورحب به وأمر برحله فحطوا وأكرمه وحياه، ثم صحبه إلى النبى ﷺ ومعه وفد زبيد.

فأسلم وأقام أياما ، وأجازه نبى الخير ﷺ كما كان يجيز الوفد.

وانصرف عمرو بن معد يكرب ووفد زبيد راجعا إلى بلاده.

*** عمرو بن معد يكرب يرتد مع من ارتد باليمن.**

لما انتقل خاتم الأنبياء ﷺ ارتدت كثير من قبائل العرب وادعى مسيلمة بن حبيب الكذاب النبوة، وطليحة بن خويلد الأسدى، والأسود العنسى، وسجاح و . . فجيش الخليفة الأول الجيوش فخرجت وحاربت المرتدين ومدعى النبوة فعادت القبائل الشاردة إلى حظيرة الإسلام وقتل مسيلمة الكذاب والأسود العنسى **وفر طليحة بن خويلد الأسدى إلى الشام** . .

*** أنا أبو ثور.. أنا عمرو بن معد يكرب.**

وجه خاتم الأنبياء ﷺ على بن أبى طالب وخالد بن سعيد بن العاص إلى

اليمن وقال:

- **إذا اجتمعتما فعلى أمير، وإن افترقتما فكل منكما أميرا.**

فاجتمعا، وبلغ عمرو بن معد يكرب مكانهما، فأقبل فى جماعة من قومه، فلما دنا منهما قال:

- **دعونى حتى أتى هؤلاء القوم، فإنى لم أسم لأحد قط إلا هابنى.**

فلما دنا عمرو بن معد يكرب من على بن أبى طالب وخالد بن سعيد بن العاص نادى:

- **أنا أبو ثور، أنا عمرو بن معد يكرب.**

وكلاهما يقول لصاحبه:

- **خلنى وإياه بأبى أنت وأمى.**

فلما سمع عمرو بن معد يكرب قول على وخالد قال:

- **العرب تفزع منى وأرانى لهؤلاء جزرة؟**

فانصرف عنهما.

*** عمرو بن معد يكرب وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب.**

رجع أبو ثور إلى الإسلام فسأله الفاروق:

- **من أشجع من رأيت؟**

فقال عمرو بن معد يكرب:

كانت لى فرس شمقمقة طويلة سريعة الإنفاذ فركبتها فلم أكن ألقى أحدا إلا قتلته، ثم مضيت فأصبحت بين رحال متعاقدة فنظرت إلى أبيات فعدلت إليها، فاذا فيها ثلاث جوار كأنهن نجوم الثريا، فبكين حين رأيننى فقلت.

- **ما يبكيكن؟**

فقلن:

- **لما ابتلينا به منك، ومن ورائنا أخت لنا أجمل منا**

فتركتهن وسرت فى طلبها، فأشرقت على مكان مرتفع، وإذا بغلام قد جلس يخصف - يرقع - نعله - فلما نظر إلى وثب على فرسه مبادرا ثم ركض فسبقنى

إلى الفتيات فوجدهن قد ارتعن فسمعته يقول:

مهلا نسياتى فلا ترتعن إن تمنع اليوم نساء تمنعن

فلما دنوت منه قال:

ـ أتطرد لى أو أطرد لك؟

قلت:

ـ بل اطرد لى.

وركضت فى أثره حتى أمكنت السنان من أسفل كتفه، فإذا هو والله ينقلب على صدر جواده **فتذهب الطعنة خائبة**، ثم استوى فى سرجه، فعدت إلى طرده وهو يركض أمامى **حتى إذا أمكنت السنان بين ناصيته** إذا هو والله قائم على الأرض **ومضى السنان زالجافى الهواء**، ثم استوى على فرسه فطردته الثالثة حتى إذا أمكنت السنان من ظهره اتكأت عليه وأنا أظن أنى قد فرغت منه، فمال فى سرجه حتى خالط بدنه الأرض **وذهبت الطعنة فى الهواء مرة أخرى**، ثم استوى على فرسه وقال:

ـ أبعد ثلاث تريد ماذا أثكلتك أمك؟

فوليت وأنا مرعوب منه.

فلما غشينى أحسست مس الريح فى بدنى فإذا هو يطردنى بالرمح دون سنان.

ثم كف عنى واستنزلنى فنزلت عن فرسى **فجزناصيتى** وقال:

ـ انطلق فانى أنفس بك ـ نفس بالشيء: ضن وبخل ـ عن القتل فكان ذلك عندى يا أمير المؤمنين أشد من الموت

ثم سألت عن الفتى

فقيل: **هو ربيعة بن مكدم**

فذلك أشجع من رأيت.

وقد اشتهر سيف عمرو بن معد يكرب الذى كان يسمى بالصمصمة، وهو السيف الذى طلب أمير المؤمنين عمر رؤيته، فأرسله أبو ثور له ولكنه لم يعجب

الفاروق وقال:

ـ إنه سيف كبقية السيوف.

فأرسل عمرو بن معد يكرب قائلا:

ـ إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث له بالساعد الذى يضرب به.

*** يوم القادسية.**

كانت شجاعة أبى ثور معترفا بها بين العرب، وكان أمير المؤمنين عمر يعد عمرو بن معد يكرب **بألف فارس**، وإن كان لا يثق بحسن تصرفه فى قيادة الجيوش، فعندما بعثه إلى سعد بن أبى وقاص كتب اليه يقول:

أمددتك بألف رجل: عمرو بن معد يكرب وطليحة بن خويلد الأسدى، فشاوروهما فى الحرب ولا تولهما شيئا.

وكانت قوة عمرو بن معد يكرب الجسدية خارقة ظهرت خاصة فى موقعة القادسية فكان يأسر الفارس ويلوى عنقه بيديه فيقتله ثم يذبحه، وقد فعل بالعدو ـ الفرس ـ يومئذ الأفاعيل.

وضرب عمرو بن معد يكرب الفيل الذى كان يركبه رستم قائد جيش الفرس فقطع خرطومه وجذب عرقوبة فسقط الفيل وسقط رستم من فوقه فقتل. فقال للمسلمين يوم القادسية:

ـ الزموا خراطيم الفيلة السيوف فإنه ليس لها مقتل إلا خراطيمها.

وقد كان الفرس يقاتلون من فوق الفيلة والمسلمون يحاربون على الخيل.

*** يوم نهاوند**

كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى النعمان بن عمرو بن مقرن:

ـ استشر واستعن فى حربك بطليحة وعمرو بن معد يكرب ولا تولهما من الأمر شيئا فإن كل صانع أعلم بصناعته.

*** من شعر عمرو بن معديكرب**

قال أبو ثور:

ذهب الذين أحبهـــــم وبقيت مثل السيف فردا

وقال:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيـع

وقال عمرو بن معد يكرب:

أعاذل عدتى بدنى ورمحـــى وكل مقلص سلس القياد
أعاذل إنما أفنى شبابى اجابتى الصريخ إلى المنادى
مع الأبطال حتى سل جسمى وأقرح عاتقى حمل النجاد
ويبقى بعد حلم القوم حلمى ويفنى قبل زاد القوم زادى

*** وفاة عمرو بن معديكرب**

توفى عمرو بن معد يكرب الزبيدى فى نهاية عهد عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، **وقد شارف المائة أو عداها بقليل.**

وقيل مات بقرية من قرى نهاوند يقال لها روذة.

*** بنو أسد يضربون رُسُلَ الملك.**

كان الملك حجر فى بنى أسد، وكانت له عليهم إتاوة فى كل سنة مؤقتة، وظل ذلك دهرا، وذات يوم بعث الملك حجر جابية ورسله، فلما قدموا بنى أسد، ضربوا جابى الملك حجر ورسله حتى ضرجوهم بالدماء، فرجعوا إلى الملك ولكن حجرا كان يومئذ بتهامة، فلما علم الملك الخبر أسرع بالعودة من تهامة واستنفر قبائل ربيعة وقيس وكنانة، وخرج إلى بنى أسد فى جند كثيف فأتاهم وأخذ سادات بنى أسد وجعل يقتلهم بالعصا وأباح الأموال، وصير الأسارى إلى تهامة وآلى بالله لا يساكنوهم فى بلد أبدا.

وحبس الملك حجر من بنى أسد: عمرو بنى مسعود الأسدى وكان سيدا، وعبيد بن الأبرص وكان شاعرا

وجاء بنو أسد يتوسلون ويتضرعون وأعلنوا ندمهم وأقسموا ألا يعودوا إلى ذلك أبدا. . فعلوا ذلك ثلاثا، وقال عبيد بن الأبرص للملك:

ـ أيها الملك: اعف عنهم، فأنت الملك عليهم وهم عبيدك، وقد انقادوا لسوطك، فان عفوت فأنت أهل ذلك، وإن أمضيت قسمك ويمينك بإجلائهم إلى تهامة فلا ملامة عليك.

قال ابن الأبرص ذلك شعرا فرق لهم قلب الملك حجر فبعث فى أثرهم فأقبلوا حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن عوف بن ربيعة كاهنهم فقال لبنى أسد:

ـ من الملك الأصهب الغلاب غير المغلب فى الإبل كأبها الربرب ـ القطيع من بقر الوحش ـ ولا يعلق رأسه الصخب هذا دمه يتثغب ـ يجرى ـ وهذا غدا أول من يسلب.

فتساءلوا:

ـ من هو؟

قال عوف بن ربيعة:

ـ الملك حجر صاحبكم.

فركب بنو أسد كل صعب وذلول.

فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر الملك حجر فهجموا على قبته ووضعوا السيوف والرماح فى رقاب وصدور من حوله **وأسروا الملك حجر** وحبسوه وتشاوروا فى قتله.

فقال لهم كاهن من كهنة بنى أسد:

ـ يا قوم لا تعجلوا بقتل الرجل حتى ننظر.

وانصرف الكاهن عن القوم لينظر لهم فى قتل الملك حجر، فلما رأى ذلك علباء بن الحارث الكاهلى خشى أن يتواكل بنو أسد فى قتل ألملك حجر فدعا ابن أخته غلاما من بنى كاهل ـ وكان حجر قد قتل زوج أخت علباء ـ فقال له:

ـ يا بنى: أعندك خير فتثأر لأبيك، وتنال شرف الدهر، وإن قومك لن يقتلوك.

ولم يزل علباء بن الحارث بابن أخته حتى اقتنع فدفع إليه حديدة قد شحذها فصارت كالسيف وقال له:

ـ أدخل عليه مع قومك ثم اطعنه فى مقتله.

فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها، ثم دخل على الملك حجر فى محبسه، فلما رأى الغلام غفلته وثب عليه فقتله.

فوثب القوم على الغلام، فقال بنو كاهل:

ـ ثأرنا وفى أيدينا.

وقال الغلام:

ـ إنما ثأرت لأبى.

فخلوا عنه.

وأقبل كاهن بنى أسد فقال:

- أى قوم قتلتموه، ملك شهر، وذل دهر، أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا.

*** من لم يجزع فادفع إليه سلاحى.**

لما طعن الغلام الكاهلى الملك حجر لم تجهز الطعنة عليه، ودفع كتابا إلى رجل وقال له:

- انطلق حتى تأتى ابنى نافعا وهو أكبر أولادى فإن بكى وجزع فدعه وشأنه، واستقرهم واحدا تلو الآخر، حتى تأتى امرأ القيس وهو أصغرهم، فأيهم لم يجزع فادفع إليه سلاحى وفرسى وقدورى ووصيتى.

وبين الملك حجر فى وصيته من قتله، وكيف كان خبره.

فانطلق الرجل بوصية الملك حجر إلى ولده الأكبر نافع فاقترب منه وقال:

- قتل حجر.

فأخذ نافع التراب ووضعه على رأسه.

واستقرأ الرجل أبناء الملك حجر واحدا تلو الآخر فكلهم جزع ووضع التراب على رأسه، حتى أتى الرجل امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه النرد فقال الرجل:

- قتل حجر.

فلم يلتفت امرؤ القيس إلى قول الرجل، وأمسك نديمه عن الشرب واللعب فقال له امرؤ القيس:

- اضرب.

فضرب النديم حتى إذا فرغ قال:

- ماكنت لأفسد عليك لعبتك.

ثم سأل امرؤ القيس الرجل عن أمر أبيه كله فأخبره، فقال امرؤ القيس:

ـ الخمر على والنساء حرام حتى أقتل من بنى أسد مائة وأجزنواصى مائة ـ أى أقتل مائة وآسر مائة آخرين ـ

*** حجر يطرد ابنه امرؤ القيس.**

كانت الملوك تأنف من أبنائها من قولهم الشعر، وكان الملك حجر قد طرد ابنه امرؤ القيس وآلى ألا يقيم معه أنفة من قوله الشعر، فكان امرؤ القيس يسير فى أحياء العرب ومعه بعض الصعاليك من طىء وكلب وبكر بن وائل فإذا صادف غديرا أو روضة أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه فى كل يوم وخرج إلى الصيد فأكل وأكلوا معه، وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه ـ جواريه ومغنياته ـ ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء الغدير، ثم يرحل إلى غيره.

ولما جاء امرؤ القيس خبر مقتل أبيه كان يدمّون من أرض اليمن فقال:

ـ ضيعنى صغيرًا، وحملنى دمه كبيرا، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر ـ أصبحت مثلا ـ

ثم قال:

خليلى لا فى اليوم مصحى لشارب ولا فى غدٍ إذ ذاك ما كان يشرب

ثم أقسم أن يدرك ثأره.

*** هروب بنى أسد**

ارتحل امرؤ القيس حتى نزل بنى بكر وتغلب فسألهم النصر . . فأجابوه فبعث العيون ـ الجواسيس ـ على بنى أسد، فلما كان الليل قال لهم علباء بن الحارث الكاهلى:

ـ يا معشر بنى أسد تعلمون والله أن عيون امرىء القيس قد أتتكم ورجعت إليه بخبركم ، فارحلوا بليل، ولا تعلموا بنى كنانة.

فارتحلوا

ولما أقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب وانتهى إلى بنى كنانة وهو يحسبهم بنى أسد وضع السلاح فيهم وقال وهو يتنهد فى ارتياح:

ـ يالثارات الملك، يالثارات الهمام

فخرجت إليه امرأة عجوز من بنى كنانة فقالت:

ـ أبيت اللعن، لسنا لك بثأر، نحن من كنانة، فدونك ثأرك فاطلبهم، فإن القوم قد ساروا بالأمس.

فانطلق امرؤ القيس وراء بنى أسد، ولكنهم فاتوه ليلتهم تلك.

وأدرك امرؤ القيس بنى أسد ظهرا وقد تقطعت خيله، وقطع أعناقهم العطش، ولكن بنى أسد مستريحون على الماء، فنهد إليهم امرؤ القيس وقاتلهم حتى كثرت القتلى والجرحى فيهم.

وحجز الليل بينهم.

فهربت بنو أسد .

فلما أصبح امرؤ القيس أبت بكر وتغلب أن يتبعوا بنى أسد وقالوا له:

ـ لقد أصبت ثأرك.

قال امرؤ القيس:

ـ والله ما فعلت، ولا أصبت من بنى كاهل ولا من غيرهم من بنى أسد أحدا

قال بنو بكر وتغلب:

ـ بلى ولكنك رجل مشؤوم.

وكرهوا قتال بنى أسد، وانصرفوا عن امرىء القيس بن حجر، فمضى هاربا لوجهه حتى لحق بحمير فاستأجر من قبائل العرب رجالا فسار بهم إلى بنى أسد، ومر بتبالة ـ موضع بين مكة واليمن ـ وبها صنم للعرب تعظمه، فاستقسم ـ الاستقسام: طلب معرفة ما قسم للمرء مما لم يقسم ـ عنده بقداحه وهى ثلاثة: **االآمر والناهى والمتربص،** فأجالها، فخرج **الناهى**، ثم أجالها فخرج **الناهى**،

فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال:

ـ لو أبوك قتل ما عقتنى

ثم خرج امرؤ القيس فظفر ببنى أسد

*** امرؤ القيس يطلب الجوار**

ألح المنذر فى طلب امرىء القيس بن حجر، ووجه فى طلبه من إياد وبهراء وتنوخ، وأمده أنوشروان بجيش من الأساورة فسرّحهم فى طلبهم، ولم يكن لامرىء القيس بهم طاقة، فتفرقت حمير ومن كان معه عنه، فنجا فى عصبة من بنى آكل المرار، ونزل ببعض رؤساء القبائل يستجير بهم، وصار يتحول إلى غيرهم، حتى نزل برجل من بنى فزارة يقال له: عمرو بن جابر بن مازن، فطلب منه الجوار حتى ينظر فى أمره ويصلح من شأنه

فقال له عمرو بن جابر الفزارى:

ـ يا بن حجر إنى أراك فى خلل من قومك، وأنا أنفس ـ أضن وأبخل بك ـ بمثلك من أهل الشرف وقد كدت بالأمس تؤكل فى دار طىء، وأهل البادية أهل وبر لا أهل حصون تمنعهم، وبينك وبين أهل اليمن ذؤبان من قيس، أفلا أدلك على بلد تلجأ إليه؟ لقد جئت قيصر وجئت النعمان، فلم أر لضيف نازل، ولا لطالب عطاء مثله ولا مثل صاحبه.

قال امرؤ القيس:

ـ من يصلنى بهما؟

قال عمرو بن جابر بن مازن الفزارى:

ـ السموءل بتيماء، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذات عيبك وهو فى حصن حصين وحسب كبير

فقال امرؤ القيس:

ـ وكيف لى به؟

قال الفَزارَى:

- أوصلك إلى من يوصلك إليه.

فصحبه عمرو بن جابر بن مازن إلى رجل من بنى فزارة يقال له: الربيع بن ضبع الفزارى ممن يأتى السموءل فيحمله ويعطيه، فلما صار إليه قال له الربيع بن ضبع:

- إن السموءل يعجبه الشعر فتعال نتناشد له أشعاراً.

وانطلق امرؤ القيس بن حجر والربيع بن ضبع الفزارى إلى السموءل فتناشدا شعرا **فعرف السموءل لهما حقهما**، ثم طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ليوصله إلى قيصر، ومضى حتى انتهى إلى قيصر، **فَقبله وأكرمه وكانت له منزلة.**

*** وفاته**

ضم قيصر إليه جيشا كثيفا فيه جماعه من أبناء الملوك وكان بينهم رجل من بنى أسد، **فأوغر صدر قيصر على امرىء القيس بن حجر، فبعث إليه بحلة مسمومة منسوجة بالذهب** وقال له:

- إننى أرسلت بحلتى التى كانت ألبسها تكرمة لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة، واكتب إلى بخبرك .

فلما وصلت الحلة إلى امرىء القيس لبسها، واشتد سروره بها، فأسرع فيه السم وسقط جلده

فقال امرؤ القيس:

لقد طمحع الطماح من بُعد أرضه ... ليلبسنى مما يلبس أبؤسا

فلو أنها نفس تموت سوية ... ولكنها نفس تساقط أنفسا

وبينما هو ببلاد الروم احتضر فمات ودفن هناك.

* معلقته:

إن معلقة امرىء القيس من أشهر المعلقات بين شعراء العربية ومطلعها:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل　　بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهو من فحول الشعراء ومن طبقتهم الأولى

وقد قال عنه النبى الخاتم ﷺ :

ـ حامل لواء الشعر إلى جهنم.

وهو بلا شك من أشعر الشعراء.

أما البطولة والشجاعة والفروسية فتتجلى فى امرىء القيس عندما أقسم أن يقتل مائة من بنى أسد ويأسر مائة آخرين لأن ثأر أبيه عندهم، وقد غدا خلفهم يقتل ويثخن فيهم الجراح، ثم ولوا منهزمين أمامه وكان معه بكر وتغلب ثم تخلوا عنه، فاستأجر مقاتلين يساعدونه لأخذ الثأر وقد أوقع فى بنى أسد الضرب والقتل وحقق ثأره.

حاتم الطائى

*** نسبه**

هو حاتم بن عبد الله بن الحشرج الطائى

*** كنيته:**

يكنى أبا سفانة، السفانة: اللؤلؤة وهى أكبر أولاده.

كما كان يكنى أبا عدى

*** إذا ذكر حاتم الطائى**

لا يذكر اسم حاتم الطائى إلا إذا تمثل لسامعه، إذا كان ممن عرف تاريخ العرب سيدا من سادات طيء ، وشاعرا من شعراء الجاهلية، وفارسا من فرسانها.

إن حاتم الطائى رجل يكتنفه الشرف والسؤدد من طرفيه، وتسمه الشجاعة وعفة النفس، وكرم الأخلاق، والعاطفة الإنسانية بأجمل سماتها ويزينه السخاء والجود وحب الضيافة بأسمى زينة، لم يكن هم حاتم الطائى إلا إكرام الضيوف حتى ضرب به المثل: **أكرم من حاتم.**

*** عبد الله بن سعد بن الحشرج:**

كان أبو حاتم عبد الله بن سعد بن الحشرج أحد سادات قبيلة طيء، مات عبد الله بن سعد وابنه حاتم صغير، فكان فى حجر جده سعد بن الحشرج، وأمه عتبة بنت عفيف.

*** عتبة بنت عفيف:**

ورث حاتم الطائى طبيعة الكرم والجود عن أمه عتبة بنت عفيف، فقد كانت لا تدخر شيئا ولا يسألها أحد شيئا فتمنعه، وكانت وهى بين أخواتها ذات يسار ـ صاحبة مال كثير ـ فلما رأى إخوتها سخاءها وإكرامها للضيف حجروا عليها ومنعوها مالها، فمكثت فترة طويلة لا يدفع إليها شيء، حتى إذا ظنوا أنها تابت

عن كرمها وأقلعت عن سخائها، وعضها ألم الحرمان أعطوها قطعة من الإبل، فجاءتها امرأة من هوازن كانت تأتيها وتسألها.

فقالت له عتبة بنت عفيف:

ـ دونك هذه القطعة من الإبل فخذيها فوالله لقد عضنى الجوع مالا أمنع معه سائلا أبدا.

*** سفانة بنت حاتم والكرم.**

لم يتوقف بحر الكرم عند حاتم بن عبد الله بن الحشرج الطائى وأمه عتبة بنت عفيف، **بل امتد إلى ابنته سفانة،** فقد كان أبوها يعطيها القطعة من الإبل تلو الأخرى فتهبها ولا تترك منها شيئا، حتى قال لها أبوها:

ـ يا بنية إن القرينين إذا اجتمعا فى المال أتلفاه، فإما أن أعطى وتمسكى أو أمسك وتعطى، فإنه لا يبقى على هذا شىء.

قالت سفانة بنت حاتم:

ـ والله لا أمسك أبدا

قال حاتم الطائى:

ـ وأنا لا أمسك

قالت سفانة بنت حاتم:

ـ لا نتجاور

فقاسمها ماله وتباينا.

*** نار الضيافة.**

كان حاتم الطائى إذا جن الليل أمر غلامه أن يوقد النار فوق آطام ـ مكان مرتفع ـ لينظر إليها من أضله الطريق فيأوى إلى منزله، وفى ذلك يقول حاتم الطائى:

أوقد فإن الليل ليل قـر   والريح يا موقد ريح صـر

عسى يرى نارك من يمر　　إن جلبت ضيفا فأنت حر

كان أبو سفانة يرغب الغلام بابقاء النار حتى يراها من هو بعيد فيأتى إليها ويأكل من الزاد فيكون الغلام ـ العبد ـ على أثر ذلك حرًا فيخلع قيد العبودية.

*** كرم سعد بن الحشرج:**

قال شاعر عن جد حاتم الطائى سعد بن الحشرج:

إن المرؤءة والسماحة والندى　　فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وعلى الرغم من هذا الكرم لم يكن الجد يحب اسراف حفيده، بل كان يراه جنونا فى الجود والكرم، فعندما ترعرع حاتم الطائى جعل يخرج طعامه، فإن وجد من يأكله معه أكل، وإن لم يجد طرحه، فلما رأى سعد بن الحشرج أنه يهلك طعامه قال له:

ـ الحق بالإبل

فخرج إليها، ووهب له جارية وفرسا وفلوها ـ الفلو: المهر، الأنثى: فلوة ـ فلما أتى طفق يبغى الناس فلم يجدهم، ويأتى الطريق فلا يجد عليه أحدا، فبينما هو كذلك إذ أبصر بركب على الطريق فآتاهم فقالوا له:

ـ يا فتى هل من قرى ـ القرى: الضيافة ـ

قال حاتم الطائى:

ـ تسألونى عن قرى وأنتم ترون الإبل؟

وكان الذى بصر بهم عبيد بن الأبرص وبشر بن أبى حازم والنابغة الذبيانى، وكانوا يريدون النعمان بن المنذر بالحيرة، فنحر حاتم الطائى لهم ثلاثة من الإبل، فقال عبيد بن الأبرص:

ـ إنما أردنا بالقرى اللبن، وكانت تكفينا واحدة إذا كنت لابد متكلفا لنا شيئا.

فقال حاتم الطائى:

ـ قد عرفت ولكنى رأيت وجوها ـ كانوا شعراء وكان كل واحد منهم من

قبيلة - مختلفة وألوانا متفرقة، فظننت أن البلدان غير واحدة، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه.

فقالوا فيه أشعارا وامتدحوه بها، وذكروا فعله، فقال حاتم الطائى:

- أردت أن أحسن إليكم فكان لكم الفضل على، وأنا أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبلى عن آخرها أو تقدموا إليها فتقسموها.

فسمع جده بما فعل فأتاه وسأله عن الإبل فقال له حاتم الطائى:

- طوقتك بها، طوق الحمامة مجد الدهر وكرما لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضا عن إبلك.

فلما سمع سعد بن الحشرج ذلك قال:

- أبإبلى فعلت؟

قال حاتم الطائى:

- نعم

قال الجد:

- والله لا أساكنك أبدا.

وخرج سعد بن الحشرج بأهله وترك حاتم الطائى ومعه جاريته وفرسه وفلوها وخلفه فى داره.

*** مفاخرة حاتم الطائى وبنى لأم.**

خرج الحكم بن أبى العاصى ومعه عطر يريد الحيرة وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة، وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبنى لأم بن عمرو ربع الطريق طعمة لهم، وذلك لأن بنت سعد بن حارثة بن لأم كانت عند النعمان، وكانوا أصهاره، فمر الحكم بن أبى العاصى بحاتم الطائى فسأله الجوار فى أرض طىء حتى يصير إلى الحيرة، فأجاره، ثم أمر حاتم بجزور فنحرت وطبخت، فأكلوا وكان مع حاتم الطائى ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج ابن عمه، فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم بن أبى العاصى من طيبه ذلك، فمر حاتم الطائى

بسعد بن حارثة بن لأم وقومه فقالوا له:

- **من هؤلاء معك يا حاتم؟**

فقال حاتم الطائى:

- **هؤلاء جيرانى.**

فقال له سعد بن حارثة:

- **فأنت تجير علينا فى بلادنا.**

فرد عليه حاتم الطائى:

- **أنا ابن عمك وأحق من لم تخفروا ذمته.**

فقالوا:

- لست هناك.

وأرادوا أن يفضحوه كما فضح عامر بن جوين قبله، فوثبوا إليه فتناول سعد ابن حارثة حاتم الطائى فأهوى له حاتم الطائى بالسيف فأطار أرنبة أنفه، ووقع الشر حتى تحاجزوا، فقالوا لحاتم الطائى:

- **بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك - فنفاخرك - ونضع الرهن.**

ووضعوا تسعة أفراس رهنا على يدى امرىء القيس بن عدى ووضع حاتم الطائى فرسه

ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة.

وسمع بذلك إياس بن قبيصة الطائى، فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بماله وسلطانه للصهر الذى بينهم وبينه، فجمع إياس بن قبيصة رهطه من بنى حية وقال لهم:

- **إن هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم فى مماجدة - مفاخرة -**

فقال رجل من القوم:

ـ عندى مائة ناقة سوداء، ومائة حمراء.

وقام آخر فقال:

ـ عندى عشرة من الأحصنة على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منه إلا عيناه.

وقام حسان بن جبلة الخير فقال:

ـ قد علمتم أن أبى قد مات وترك كلأ كثيرا فعلى كل مستلزماتهم من طعام وشراب، ما أقاموا فى سوق الحيرة.

ثم قام إياس بن قبيصة فقال:

ـ على مثل جميع ما أعطيتم كلكم.

كل ذلك وحاتم الطائى لا يعلم بشىء مما فعلوه.

وذهب حاتم الطائى إلى ابن عم له يدعى مالك بن جبار وكان كثير المال فقال له:

ـ يا ابن عم أعنى على مخابلتى ـ المخابلة: المفاخرة ـ

فقال له مالك بن جبار:

ـ ما كنت لأحرم نفسى وعيالى وأعطيك مالى.

فانصرف عنه حاتم الطائى، ثم أتى ابن عم يقال له: وهم بن عمرو وكان حاتم الطائى يومئذ مخاصما له ولا يكلمه فنزل حتى سلم عليه فرد سلامه ثم قال له:

ـ ما جاء بك يا حاتم؟

فقال حاتم الطائى:

ـ خاطرت على حسبك وحسبى.

فقال وهم بن عمرو:

ـ على الرحب والسعة هذا مالى فخذه.

وكان المال تسعمائة بعير، فقالت زوجة وهم بن عمرو:

ـ يا حاتم أنت تخرجنا من مالنا وتفضح صاحبنا ـ تعنى زوجها ـ ؟

فقال:

ـ اذهبى عنك، فوالله ما كان الذى غمك ليردنى عما أنا فيه.

وقال إياس بن قبيصة:

ـ احملونى إلى النعمان بن المنذر.

فحمل حتى أدخل عليه فحياه، ورد النعمان بن المنذر التحية، فقال إياس بن قبيصة:

ـ أتمد أختانك ـ أهل زوجتك، كان النعمان بن المنذر متزوجا من فرعة بنت سعد بن حارثة ـ بالمال والخيل، أظن أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين، ولم يشعروا أن بنى حية هنا، فإن شئت والله ناجزناك ـ حاربناك ـ حتى يسفح الوادى دما، فليحضروا مجادهم ـ مفاخرهم ـ غدا بمجمع العرب.

فعرف النعمان بن المنذر الغضب فى وجه إياس بن قبيصة وكلامه فقال له:

ـ يا أحلمنا لا تغضب فإنى سأكفيك.

وأرسل النعمان بن المنذر إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه وقال لهم:

ـ انظروا ابن عمكم حاتم الطائى فأرضوه، فوالله ما أنا بالذى أعطيكم مالى تبذرونه وما أطيق بنى حية

فخرج بنو لأم إلى حاتم الطائى فقالوا له:

ـ أعرض عن هذا المجاد ـ المفاخرة ـ ندع أرش أنف ابن عمنا.

فقال حاتم الطائى.

ـ لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم.

فتركوا أرش أنف صاحبهم سعد بن حارثة وأفراسهم، فعمد إليها حاتم الطائى فنحرها وأطعم الناس منها، ولم يترك منها شيئا.

*** حاتم الطائى وماوية بنت عفزر.**

كانت ماوية بنت عفر ملكة على بعض أحياء العرب، وكانت تريد أن تتزوج بمن تريد، فبعثت غلمانا لها وأمرتهم أن يأتوها بأوسم من يجدونه بالحيرة، فجاؤوها بحاتم الطائى، فقالت له:

- استقدم

فقال حاتم الطائى:

- إنى انتظر صاحبين لى

فارتابت منه وسقته خمرا ليسكر، ولكنه جعل يهريقه بالباب فلم تره تحت عباءة الليل الأسود، ثم قال حاتم الطائى:

- ما أنا بآكل زادا حتى أنظر ما فعل صاحباى.

فقالت ماوية بنت عفزر:

- إنا سنرسل إليهما بالزاد

فقال حاتم الطائى:

- ليس بنافعى شيئا أو أتيهما.

فأتاهما فقال لهما:

- أفتكونان عبدين لابنة عفزرترعيان غنمها أحب إليكما أم تقتلكما؟

قالا:

- كل شيء يشبه بعضه بعضا، وبعض الشر أهون من بعض.

فقال حاتم الطائى:

- الرحيل والنجاة

ولكن حاتم الطائى دعته نفسه إلى ماوية بنت عفزر بعد انصرافه من عندها، فأتاها يخطبها، فوجد عندها رجلين كل واحد منهما يخطبها لنفسه، فقالت لهم:

ـ انقلبوا إلى رحالكم وليقل كل واحد منكم شعرا يذكر فيه فعاله ومنصبه، فإنى أتزوج أكرمكم وأشعركم.

فانصرفوا، ونحر كل واحد منهم جزورا، ولبست ماوية بنت عفزر ثيابا لجارية لها وتبعتهم، فأتت الأول فاستطعمته من جزوره، **فأطعمها أردأ ما فيها** فأخذته ولم تأكله، ثم أتت الثانى فاستطعمته جزوره **فأطعمها أردأ ما فيها** فأخذته ولم تأكله ثم قدمت على حاتم الطائى فاستطعمته فقال لها:

ـ قفى حتى أعطيك ما تنفعين به إذا صار إليك .

فانتظرت فأطعمها أحسن ما فى الجزور فأخذته، وانصرفت.

ثم أرسل كل منهم إلى ماوية بنت عفزر بظهر جمله، وأنشد كل منهم له أبياتا بين فيها فعاله ومكانته فى قومه، فلما فرغوا من انشادهم دعت بالطعام، **وكانت قد أمرت إماءها يقدمن إلى كل رجل منهم ما كان أطعمها ، فنكس كل من الأول والثانى رأسيهما، فلما نظر حاتم إلى ذلك رمى بالذى قدم إليهما وأطعمهما مما قدم إليه، فقالت ماوية بنت عفزر:**

ـ إن حاتما أكرمكم وأشعركم.

فتسللا لا يلويان على شىء

أما حاتم الطائى فقالت له:

ـ خل سبيل امرأتك

فأبى حاتم الطائى فزودته وردته.

ولما ماتت زوجة حاتم الطائى خطب ماوية بنت عفزر وتزوجها فولدت له عدى بن حاتم

*** حاتم الطائى والأسير.**

خرج حاتم الطائى فى الشهر الحرام يطلب حاجة، فلما كان بأرض ناداه أسير لهم مستجيرا به:

ـ يا أبا سفانة اشفع بى عند هؤلاء القوم.

قال أبو سفانة:

ـ ويحك والله ما أنا فى بلاد قومى، وما معى شىء، وقد أسأت بى إذ نوهت باسمى

فساوم حاتم الطائى الذين أسروه واشتراه منهم ثم قال:

ـ خلوا عنه وأنا أقيم مكانه فى القيد حتى أؤدى فداءه.

ثم انطلق الأسير إلى قوم حاتم الطائى حتى جاء بالفداء، وأطلق سراح أبى سفانة.

*** ورأينا منك أكثر مما سمعنا :**

بلغت أخبار جود وكرم حاتم الطائى أسماع أحد قياصرة الروم فاستغربها، وكان قد بلغه أن لحاتم الطائى **فرسا من كرام الخيل عزيزة عنده،** فأرسل إليه أحد حجابه يطلب منه الفرس هدية له، وكان قيصر الروم يريد أن يختبر سماحته وجوده بذلك.

فلما دخل حاجب قيصر الروم ديار طىء سأل عن حاتم الطائى فصحبوه إليه فاستقبله أحسن استقبال ورحب به وهو لا يعلم أنه حاجب القيصر.

وكانت المواشى فى المراعى فلم يجد حاتم إليها سبيلا للإكرام ضيفه **فنحر الفرس العزيزة عنده** وأضرم النار ثم دخل إلى ضيفه يحادثه فأعلمه أنه رسول القيصر قد حضر يستميحه الفرس فساء ذلك حاتم الطائى وقال:

ـ هلا أعلمتنى قبل الآن؟

فقال رسول قيصر :

ـ لم؟

قال حاتم الطائى:

ـ فإنى نحرتها لك إذ لم أجد غيرها أمامى.

فعجب رسول قيصر منه وقال:

ـ والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا

*** صور من كرم حاتم الطائى.**

يقول حاتم الطائى:

قدورى بصحراء منصوبة   وما ينبح الكلب أضيافه
وإن لم أجد لنزيلى قرى   قطعت له بعض أطرافيه

.. أى لا ينبح الكلب فى وجوه الضيوف

ويقول فى مقام آخر:

مهلا نوار أقلى اللوم والعذلا   ولا تقولى لشىء فات ما فعلا؟
ولا تقولى لمال كنت مهلكهُ   مهلا وإن كنت أعطى الجن والخبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة   إن الجواد يرى فى ماله سبلا
إن البخيل إذا مات يتبعه   سوء الثناء ويحوى الوارث الإبلا
فاصدق حديثك إن المرء يتبعه   ما كان يبنى إذا ما نعشه حملا

الخبل: الإنس

ويقول أيضا:

واجعل مالى دون عرضى جنــة   لنفسى فأستغنى بما كان من فضلـــى
ولى مع بذل المال والبأس صولة   إذا الحرب أبدت عن نواجذها العُصل

الجنة: الترس والستر

الصولة: السطوة والقدرة

النواجذ: أقصى الأضراس

العصل: الواحد أعصل، الأعوج فى صلابة

*** سفانة بنت حاتم وخاتم النبيين ﷺ :**

بعث السراج المنير ﷺ على بن أبى طالب فى خمسين رجلا إلى طىء ليهدم **الفلس صنم طىء**، فقاومه عباده فهزمهم وأحرقه وساق أمامه السبى والغنائم، وكان من بين السبى بنت حاتم الطائى، أخت عدى بن حاتم الذى ركب خيله وفر إلى الشام.

ولما قدم أبو الحسن مدينة رسول الله ﷺ أوصى السفانة أن تستشفع عند نبى الرحمة ﷺ بأبيها حاتم الطائى وآثره.

ففعلت

ولما عرفها صاحب الخلق العظيم ﷺ رحب بها ومن عليها بالحرية وأعطاها عطاء جزيلا فأطلق لسانها فقالت الكلمات الذهبية:

شكرتك يدٌ افتقرت بعد غنى، ولا ملكتك يدٌ استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة كريم إلا وجعلك سببا لردها عليه..

وأعجبت ابنة حاتم الطائى بمكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ فقالت:

ـ يا محمد هلك الوالد ، وغاب الرافد، فإن رأيت أن تخلى عنى ولا تشمت بى أحياء العرب، فإن أبى كان سيد قومه، يفك العانى ـ الأسير ـ ويقتل الجانى، ويحفظ الجار ويحمى الذمار، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ـ العائل واليتيم ـ ويعين على نوائب الدهر، وما أتاه أحد فرده خائبا أنا بنت حاتم الطائى.

فقال لها الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ يا جارية هذه صفات المؤمنين حقا ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه، خلوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

ولما قدم أناس من طيء ذهبت سفانة بنت حاتم الطائى معهم فى حراستهم.

*** عدى بن حاتم الطائى وإمام الخير ﷺ :**

رحلت سفانة بنت حاتم الطائى من مدينة رسول الله ﷺ وقد أعجبت بسماحة ومكارم أخلاق صاحب الخلق العظيم ﷺ وعز عليها أن يحرم أخوها عدى بن حاتم من صحبته، لاسيما أنه لم يتصوره على حقيقته، بل حكم عليه متأثرا بالأراجيف التى كان مشركو العرب يذيعونها ويروجونها عنه ﷺ ، فلما **قدمت الشام لامت أخاها عدى بن حاتم على فراره وتركها أسيرة، ثم قصت عليه قصتها مع رسول الله ﷺ وكيف بالغ فى إكرامها والحفاوة بها؟**

فقال عدى بن حاتم:

ـ وماذا ترين؟

قالت سفانة بن حاتم:

ـ أرى أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فالتسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن نذل عنده وأنت أنت.

قال عدى بن حاتم :

ـ هذا هر الرأى.

وخرج عدى بن حاتم حتى أتى النبى الخاتم ﷺ فسلم عليه فقال عليه الصلاة والسلام:

ـ من الرجل؟

قال:

ـ عدى بن حاتم.

فرحب به الرسول الكريم ﷺ ، واصطحبه إلى بيته، وبينما هما فى

الطريق اعترضت أبا القاسم ﷺ امرأة عجوز بادية الضعف والمسكنة. فوقف صاحب الخلق العظيم ﷺ يحدثها ويلاطفها، فقال عدى بن حاتم فى نفسه:

ـ والله ما هذا بملك.

ولما وصلا إلى بيت أبى القاسم ﷺ قدم إلى عدى بن حاتم **وسادة ليجلس عليها**، فأبى بن حاتم أن يجلس عليها واقترح أن يجلس عليها نبى الرحمة ﷺ نفسه، فأصر خاتم النبيين ﷺ ،وجلس على الأرض ومرة خرى قال عدى بن حاتم فى نفسه:

ـ ليست هذه أخلاق الملوك.

وعرض إمام الخير ﷺ الإسلام على عدى بن حاتم فقال:

ـ إننى على النصرانية.

فأظهره نور الظلمة ﷺ علي وهمه وبين له أنه ليس على دين صحيح بل إنه يخلط بين النصرانية وشطحات الجاهلية، وشرح النبى العربى الأمى القرشى الهاشمى ﷺ لعدى بن حاتم عقائد الإسلام ومذاهبه العظيمة، ثم قال عليه الصلاة والسلام:

ـ لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ـ فقر المسلمين ـ فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم،فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية ـ اسم بلد بالشام ـ على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى الملك والسلطان فى غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم.

وما كاد طبيب القلوب والعقول والنفوس ﷺ أن ينتهى من قوله حتى كان مقلب القلوب قد شرح صدر عدى بن حاتم إلى الإسلام فنطق بشهادة الحق:

ـ أشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

وأسلمت سفانة بنت حاتم الطائى

يقول عدى بن حاتم:

قد مضت اثنتان ـ أغنى الله عز وجل المسلمين وكثر عددهم،أصبحت الظعينة تخرج من الشام وتمشى إلى البيت الحرام وحدها ـ وبقيت الثالثة والله لتكونن: قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية علي بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالثة: ليفيض المال حتى لا يجد من يأخذه.

وقد حسن إسلام عدى بن حاتم ويكفى أنه عندما مات رسول الله ﷺ ارتدت كثير من قبائل العرب ولكن عدى بن حاتم كان فى طليعة الذين حاربوا المرتدين ومدعى النبوة

عنترة بن شداد

إذا كانت الإلياذة ـ ملحمة اغريقية كتبها هوميروس نشيد فرسان الإغريق فى العصور الماضيات **فحرى أن تكون قصائد عنترة بن شداد نشيد الكتائب العربية في هذا العصر وكل عصر ، فهى تمثل روح الفروسية أحسن تمثيل وتمثل البطولة والتضحية فهى ملحمة العرب، وصورة رائعة فى صحاريهم وبواديهم، وكيف كانوا يعيشون ويحاربون ويغزون، ويقولون الشعر ويصدقون الوعد، ويحافظون على الجار ويضحون بأنفسهم فى سبيل الأرض والعرض .**

*** شداد بن قراد**

خرج الأمير شداد بن قراد ذات يوم للغزو مع عشرة من أبطال عبس بعد أن أفقرهم الكرم، وأضرت بهم الولائم والحفلات، وكان الأمير شداد بطلا شجاعا وفارسا مقداما، وأمعن الفرسان فى الأرض وابتعدوا عن ديارهم من أرض بنى عدنان، ودخلوا منازل بنى قحطان، وجعلوا يكمنون بالنهار ويغيرون بالليل حتى **أشرفوا على جبلين فشاهدوا بينهما منازل قبيلة عامرة تدعى جديلة، ورأوا أموالا وفيرة وعبيدا وغلمانا يذهبون ويعودون وفرسانا ونساء يتسامرون، فأدركوا أن لا قبل لهم بهم جميعهم، فقصدوا مراعيهم حيث شاهدوا قرابة ألف ناقة وقد وقفت بينهم أمة سوداء عريضة الأكتاف غليظة الأطراف جميلة التقاسيم ومعها ولدان يساعدانها على رعى النوق، عندئذ هجم الفرسان العشرة على النوق وساقوها أمامهم كما ساقوا المرأة وولديها.**

*** زبيبة**

لما ابتعد فرسان بنى عبس عن مضارب قبيلة جديلة خرج عليهم فرسان القبيلة ولكن العبسيين ردوهم على أعقابهم، وعادوا إلى بنى عبس منتصرين.

ونظر الأمير شداد بن قراد إلى زبيبة فأعجبته، وطلبها لنفسه فمانعته، فعرض عليها الزواج وأن يتكفل بولديها فرضيت، فعند ذلك قال لأصحابه:

- إنى جعلتها فى عصمتى ورضيت أن آخذها من قسمتى فاتركوها لى .

ولما وصل الفرسان إلى منازلهم ببنى عبس احتفى بهم أهلهم وأصدقاؤهم وقسموا الغنيمة فيما بينهم **ووقعت زبيبة وولداها جرير وشيبوب فى قسمة الأمير شداد بن قراد.**

وعطف الأمير شداد بن قراد على زبيبة وأولاها اهتمامه وظل على هذه الحال حتى ظهر عليها الحمل.

*** عنترة :**

ولدت زبيبة مولوداً ذكرا أسود الوجه يشبه الأمير شداد بن قراد ما عدا سواده ففرح به فرحا شديدا **وأسماه عنترة**، وكان مولده سنة ٥٢٥ ميلادية أى **قبل ظهور الإسلام بخمسة وثمانين سنة .**

كانت طفولته غير عادية إذ كانت أفعاله ونموه أكبر من سنه وكانت هيئته توحى لمن يراه بأنه شاب مكتمل الشباب مع أنه فتى غض الإهاب.

*** الفارس :**

راح عنترة يتقلب على ظهور الخيل ويتمرن على أعمال الفروسية والبطولة حتى اشتدت أطرافه وعرضت أكتافه واكتملت أوصافه وظهرت على وجهه امارات البطش والقوة وصار إذا شرد منه البعير يصيح به فيرجع وإذا أمسكه من ذيله أوقعه حتى انتشر خبره وذاع صيته فى قبيلة بنى عبس.

*** داجى يعترض عنترة :**

كان عبيد شاس بن الملك زهير ملك بنى عبس يرعون إبلهم خارج مضارب القبيلة وكان عليهم عبد اسمه داجى شديد التكبر والتجبر، وكان شاس بن الملك زهير يقربه ويحبه لمحافظته على أمواله وإبله، وكان داجى يكره عنترة ويتمنى هلاكه وموته.

وذات يوم كان العبيد فى طريقهم إلى مضارب القبيلة فوقفوا على الغدير يسقون إبلهم فتقدمهم داجى ولم يسمح لأحد بالإقتراب من الماء قبل أن ينتهى من

وروده، وكان الغدير واسعا يسع عددا عظيما من الإبل ، لكن داجيا أراد التجبر والاستعلاء فطرد الجميع ولم يستطع أحد من الاقتراب، وتقدمت امرأة عجوز من بنى عبس وسألت داجيا السماح لها بسقى نعاجها فردها ورفض طلبها فتقدمت منه عجوز أخرى وسألته مثل ذلك فدفعها فى صدرها فوقعت على ظهرها فضحك العبيد، **فلما رأى عنترة ذلك اشتد غضبه وغيظه** وصاح بالعبد داجى:

ـ أتهتك ستر النساء العربيات؟

وكان رد داجى على عنترة لطمة على وجهه، فربا غضب عنترة فهجم على داجى وأمسكه من وسطه ورفعه فوق رأسه ثم جلد به الأرض فقضى عليه، فهجم عبيد شاس بن الملك زهير على عنترة بالعصى فتلقاهم عنترة وهو أعزل وانتزع عصا أحدهم ثم أوسعهم ضربا حتى أدماهم فانطلقوا أمامه كالخراف.

*** عنترة فى جوار الأمير مالك بن الملك زهير :**

رأى الأمير مالك بن الملك زهير ما حدث بين عنترة والعبيد وكان الأمير مالك ذا أخلاق عالية، فتقدم وسأل عنترة عن حاله فأخبره بما كان وهو ثابت الجنان وكأن شيئا لم يكن فطلب الأمير مالك منه العودة إلى مضارب القبيلة، ولكن عنترة خشى على نفسه من الأمير شاس فقال له الأمير مالك:

ـ أنت فى جوارى.

ولكن الأمير شاس لما علم أن عنترة فى جوار أخيه لم يقتنع بذلك وانطلق إلى مضارب القبيلة وشهر سيفه وهجم على عنترة فأسرع الأمير مالك وشهر سيفه يريد الدفاع عمن فى جواره، وكاد الأخوان يشتبكان بسيفيهما لولا أن أقبل الملك زهير بعد أن أعلمه العبيد بما حدث، ولما رأى الأمير مالك أباه أسرع إليه وشكا كيف أن أخاه لم يعبأ بجواره؟

نظر الملك زهير إلى ابنه شاس وقال له:

ـ لماذا لا تهب لأخيك دم هذا العبد وأنا أعوضك عنه عشرة من العبيد؟

ورضى الأمير شاس ولكن ظل فى نفسه الحقد والغيظ على عنترة .

وأقبل الملك زهير وسأل عنترة عن سبب قتل العبد داجى، فأخبره عنترة بما

كان فتبسم الملك زهير وقال:

ـ لقد قام عنترة بواجبه فى الدفاع عن حرمة النساء، ولئن طال عمره ليكونن من الأبطال الصناديد

وكان شداد بن قراد وبعض الفرسان الذين سمعوا بما وقع قد أقبلوا، فالتفت الملك زهير نحو شداد وقال له:

ـ خذ ولدك عنترة فقد وهبته لك وأوصيك به خيرا.

*** عبلة بنت مالك بن قراد.**

أصبح عنترة حديث القبيلة كلها حتى النساء أخذن يسألن عن قصته مع العبد داجى ، فراح عنترة يتحدث بما كان منه، وكان بين الحاضرين عبلة بنت عمه مالك بن قرادة، وكانت فتاة جميلة بارعة الحسن، فلما سمعت قصة عنترة وداجى أيدت عنترة وشجعته على رد الإعتداء والعدوان بمثله أو بأشد منه فشغف بها عنترة حبا وقال:

رمت الفؤاد مليحة عـــــذراء بسهام لحظ ما لهـــن دواء

خطرت فقلت قضيب بان حركـــت أعطافه بعد الجنوب صبـــاء

نفرت فقلت غزالة مذعـــــورة قد راعها وسط الفلاة ظباء

سفرت فقلت الشمس حقا وجهها لما بدا للناظرين ضيــــــاء

فلما سمعت عبلة بنت مالك بن قراد ما قاله عنترة بن شداد وهو يصف جمالها ومحاسنها وهى بين أترابها أخذها ما يأخذ الفتاة فى مثل هذه الحالات من الفخر والإستعلاء وسرها ما سمعت من عنترة بن شداد.

*** شجاعته**

ذات يوم التفت شداد بن قراد إلى عنترة وقال له:

ـ اعلم أننا سنخرج فى الغداة للغزو، وستبقى البيوت خالية إلا من الصبيان والنساء، فلا تبتعد عن الحى أبدا، واعلم أنك مسئول عن كل شىء.

فأجابه عنترة بالإيجاب، وقد غمره الفخر والزهو عندما استشعر أنه أصبح ممن يوكل إليهم أمر الدفاع والمحافظة على الحى فى غياب الرجال.

كان عنترة فى الرابعة عشرة من عمره، ولكن من ينظر إليه كان يظنه فى العشرين ، كان طويل القامة قوى العضلات تدعو هيئته إلى الهيبة وتنم مخايله عن النشاط والفروسية.

بكر فرسان القبيلة بالغزو، بينما قامت النساء والصبيان ومن بقى فى الحى للمرح والطرب، والأخذ بأطراف الحديث والتندر، وأقامت سمية زوجة شداد وليمة علي الغدير نحرت فيها الذبائح وجلس الجميع يأكلون ويضحكون ويمرحون، وعبلة بينهم كأنها ملكة جمال وعنترة بين يديها يخدمها ويتقرب إليها، وكان الجميع فى أحسن حال من الفرح والسرور.

وبينما هم كذلك إذ فرسان بنى قحطان تغير عليهم ويسوقون النساء أمامهم وحمل أحد فرسان بنى قحطان عبلة بنت مالك بن قراد على فرسه وانطلق بها كالريح

هب عنترة من مكانه وانطلق كالبرق خلفه وأمسك بقدمه فسقط من فوق ظهر حصانه على الأرض بينما عادت عبلة إلى ديارها سالمة وأخذ عنتر سيفه وركب فرسا ولحق ببنى قحطان وراح يصيح كالأسد ويصول ويجول فقتل منهم أربعة فلما رأى الباقون ما فعله عنترة تركوا نساء بنى عبس وفروا هاربين. وعاد عنترة ومعه النساء والأسلاب وهو يقول:

أنا فى الحرب العـوان	**غير مجهول المكـــان**
وإذا نادى منـــــــاد	**فى دجى النقع يرانــى**
أطعن الخصم برمحى	**وهو يقظان الجنـــان**
خلق الرمح لكفـــى	**والحسام الهندوانـــى**
وهما فى المهد كانـا	**فوق صدرى يؤنسانى**

عدت الأسلاب فإذا هي تزيد عن عشرة سيوف وعشرين رمحا وخمسة عشر

فرسا فسرت سمية زوجة أبيه بعمله هذا كما افتخرت عبلة بنت عمه بما قام به وزاد حبها له.

وطلبت سمية من النساء والصبيان والعبيد أن لا يتحدثوا بما حدث وأن يخفوا الخبر حتى لا ينكر عليهن رجالهن خروجهن إلى الغدير، وابتعادهن عن مضارب القبيلة **فأقسم الجميع أن يكتموا الخبر ولا يتحدثوا به لأحد.**

وبعد أيام عاد الملك زهير برجاله وفرسانه وقد غنموا غنائم عظيمة وانتصروا على أعدائهم انتصارا باهرا.

وخرج شداد بن قراد بعد قدومه يتفقد أنعامه وخيوله فرأى بينها خيلا جديدة لم يكن قد رآها من قبل خروجه للغزو، كما رأى عنترة يركب فرسا دهماء جميلة فسأله:

ـ ما هذه الخيل الجديدة؟

قال عنترة:

ـ لقد مرت على وأنا فى المرعى جماعة أظنها أغارت علي بعض أطراف اليمن وعادت ومعها الكثير من الغنائم والأسلاب وكانوا يجدون فى الهرب من أعدائهم فساقوا ما استطاعوا وتركوا الباقى فاقتفيت آثارهم وخطفت هذه الخيول منهم وهم لا يشعرون.

فهز شداد بن قراد رأسه وقال:

ـ لا أصدق هذا.

وهم شداد أن يضرب عنترة لولا أن أقبلت سمية زوجة شداد وحالت بينهما **ثم أخبرت زوجها بما كان من عنترة وكيف أنه أنقذ النساء من العار والهران والفضيحة، فلما سمع شداد بن قراد القصة باسط عنترة وفرح به وأعجب بشجاعته.**

* شداد بن قراد يرفض الإعتراف بعنترة :

لما كان المساء وجلس أشراف بنى عبس فى سرادق الملك زهير الذى علم بما

فعله عنترة أثناء خروجهم للغزو، أقبل الملك على عنترة وقربه إليه وامتدحه أمام قومه **ثم أجلسه إلى جواره، ولما استأذن سادات بنى عبس بالإنصراف خلع الملك زهير على عنترة خلعة لم يخلعها على غيره، فقد وهبه سيفا ثمينا، وزاد فى اكرامه.**

وعندما رجع عنترة مع أبيه شداد بن قراد قرر عنترة أن يحدث أباه بما يعتمل فى صدره فقال:

ـ لم لا تعترف يا مولاى بحقى؟

فقال شداد بن قراد:

ـ قل حاجتك والذى تشتهى وتريد.

لقد ظن شداد بن قراد أن عنترة سيطلب نوقا وجمالا يقتنيها أو مضارب وبيوتا يأوى إليها

ولكن عنترة قال:

ـ أريد يا مولاى أن تلحقنى بنسبك وتعترف أمام الخاص والعام بأنى ولدك، وأنا أكافئك بما لا يقدر عليه إنسان، وأترك سادات العرب تخدمك فى كل مكان

فظهر الغضب على وجه شداد بن قراد وقال:

ـ لقد حدثتك نفسك بشىء يكون لك فيه الهلاك .

ثم أمسك شداد بن قراد سيفه وقال لعنترة مهددا:

ـ لم يعد لك عندى سوى الضرب بالحسام.

وسمعت سمية زوجة شداد صياحه فخرجت من خيمتها لتعرف السبب، فلما شاهدت زوجها على هذا الحال أمسكت بسيفه وقالت:

ـ والله لا أتركك بعد أن فعل ما فعل وضحى فى سبيلنا بحياته.

*** الأمير مالك يتعهد لعنترة بتحقيق غرضه:**

رفض الأمير شداد بن قراد أن يعترف أمام العام والخاص بأن عنترة ولده،

وأنكر عنترة على نفسه أن يقع ما وقع، وصعب عليه البقاء فى منازل أهله فمشى إلى خيام الأمير مالك وحدثه بما جرى بينه وبين أبيه شداد بن قراد وأعلمه أنه لم يطلب ما طلب إلا لينال حقه ويحصل على يد ابنة عمه عبلة، فتأثر الأمير مالك لحال عنترة وهدأ من روعه وقال له:

- لو أخبرتنى قبل اليوم بأمرك هذا لتدبرت الأمر مع أبى، ولكن الأمر أصبح صعبا الآن بعد أن عرف به الخاص والعام وسوف يحجب عمك عبلة عنك حين يعرف ما طلبته من الحاقك فى النسب لأن هذا معناه طلب يد عبلة بعد ذلك ولكن ابق عندنا وسنرى ما يمكن أن نفعله فى هذا الشأن.

فقال عنترة:

- لن أقيم فى هذا الحى بعد اليوم.

ثم أمضى عنترة الليل مع الأمير مالك فى مضاربه ولما أصبح ركب جواده وخرج لا يعرف إلى أين يذهب فقد ضاقت فى وجهه الدنيا من كل جانب .

*** عنترة يغضب لكرامته :**

غضب عنترة فكيف يتجاهل أبوه شداد بن قراد حقه وأن يتغاضى بنى عبس عن بلائه وتضحياته، وأن تذهب كل جهوده فى سبيل استقلال بنى عبس وحريتهم هباء منثورا، وصمم عنترة على أن يقارع الدهر بنفسه وأن يشق طريقه بسيفه.

وأثارت هذه الأفكار شجون نفسه فتفجر الشعر من قلبه فقال:

أعاتب دهرا لا يلين لعاتـــــب وأطلب أمنا من صروف النوائب

إذا ما نسونى فالقواضب والقنا تذكرهم فعلى ووقع المضــــارب

*** ثورة عنترة على العبودية بكل صورها.**

أقبل شيبوب نحو الربوة التى اعتاد عنترة أن يجلس فوقها مشرفا على الوادى، فلما رأى عنترة أخاه أدرك أن وراءه أمرا فتساءل:

ـ إلى أين كنت سائرا؟

قال شيبوب:

ـ جئت لأراك

فنظر عنترة نحو أخيه فى شك وقال:

ـ لا إن وراءك لأمرا

فقال شيبوب مبتسما:

ـ إنك لتحس ما فى نفسى قبل أن أنطق به، كان الحى بالأمس يزخر ـ يموج ويضطرب - بمن فيه.

قال عنترة:

ـ فهل من جديد؟

فقال شيبوب:

ـ ونحر مالك بن قراد عشرة جزور وهو ما يصلح لأن يذبح من الإبل

ثم سكت شيبوب فصاح عنترة فى صوت مخنوق:

ـ عمارة بن زياد؟

قال شيبوب:

ـ ذهب عمارة بن زياد يخطب عبلة.

فأطرق عنترة ساهما حزينا وجعل يخرق الأرض برمحه كعادته إذا ركبه الغضب

فقال شيبوب:

ـ هذا مالك بن قراد يريد أن يختار لابنته زوجا، فهل لك أن تفكر فى أمرك وتحكم فى الأمور بعقلك؟

فأطرق عنترة حزينا ثم قال:

ـ إنك تريد أن أحكم عقلى وأن أفكر فى أمرى، تريد بأن أعترف بأننى عنترة العبد الذى لا يليق به أن يتطلع إلى عبلة؟

قال شيبوب فى رقة:

ـ إنك بغير شك فارس عبس، وإنك لجدير بأن تكون سيدها، ولكن قضاءك قد ظلمك، وجعلك حيث أنت، ولست بأول رجل ظلمته الحياة.

فانتفض عنترة قائلا:

ـ ومالى أرضى بظلم الحياة يا شيبوب؟ وما الذى يقيدنى حتى أقيم على الخسف ـ الظلم والذل ـ وأرضى بأن أكون عبدا؟

قال شيبوب:

ـ وماذا تملك يا أخى؟ هل تملك أن تحجز على مالك بن قراد حتى لا يتزوج ابنته بمن شاء؟

فصاح عنترة:

ـ ولكنى أحب عبلة، أحبها حبا ملك على عقلى فلا أفكر إلا فيها، ولا أحيا إلا من أجلها، لقد قنعت أول الأمر بالرق لأننى كنت قريبا منها، ولقد رفضت اليوم هذا الرق لأنه يبعدنى عنها أحب عبلة حبا لا يستطيع مالك بن قراد ولا غير مالك أن ينزعه من بين ضلوعى، ولن يستطيع أحد أن يجعلنى أرضى بأن يتزوجها غيرى.

قال شيببوب:

ـ إذن حدثنى ماذا أنت فاعل لتحول بين مالك بن قراد وبين رضائه بعمارة بن زياد؟

قال عنترة فى مرارة وحزن:

ـ لست أدرى بم أحدثك ياشيبوب

قال شيبوب:

ـ ليس أمامك إلا شداد بن قراد.

قال عنترة:

ـ ولكن أتحسب أنه ينصفني؟ أتحسب أنه يعترف بي على ملأ عبس؟

ثم سكت عنترة وراح ينكث الرمل برمحه.. ثم قال عنترة:

ـ لئن لم ينصفني وأنا ولده لكان لي ظالما.

قال شيبوب:

ـ إنك بين قوم لا ينظر كل منهم إلا إلى نفسه.

قال عنترة:

ـ فلا حرج علي إذا نظرت إلى نفسي، إن هؤلاء يدعونني إذا اشتدت حولهم الكروب، ويلقون إلى بالسيف أحمى حماهم.

*** حزن الملك زهير على فراق عنترة :**

عندما علم الملك زهير بما جرى بين عنترة وشداد بن قراد بعث إلى شداد يلومه علي تفريطه بولده فقال شداد بن قراد:

ـ ما منعته بدون سبب ولكن أخي مالكا أنذرني إن أنا ألحقته بالنسب فسيزيد طمعه في عبلة فيضطر مالك إلى قتله، ويرحل عن الحي مع ابنته وأهله ويتبرأ مني.

فقال الملك زهير:

ـ لقد فرطتم فيه وهو الذي حمى النساء ودافع عنا بسيفه ونفسه.

ثم نظر الملك زهير نحو ابنه مالك وقال له:

ـ ابحث عن عنترة حتى تجده.

*** شداد يعترف ببنوة عنترة :**

فخرج الأمير مالك يبحث عن عنترة فلقيه وقد غنم مغانم كثيرة فقد هزم عنترة كل من لقيه في طريقه

ولما عاد عنترة إلى بنى عبس وقف أبوه شداد بن قراد وأعلن أمام الجميع بنوته فقامت الأفراح فى بنى عبس.

*** مالك بن قراد يورد عنترة المهالك :**

تقدم عنترة يطلب يد بنت عمه مالك ولكن أباها كان يحيك له المؤامرة تلو الأخرى وينصب له الشرك وراء الآخر، وفى كل مرة كان عنترة ينجو وينتصر بفضل شجاعته وبسالته حتى اجتاز الصعاب ثم قال مالك بن قراد:

ـ يا عنترة مهر ابنتى ثلاثمائة من النوق السود.

فقال عنترة بن شداد:

ـ ولكن هذه النوق من أجود وأحسن النوق ولا توجد إلا فى مملكة الملك النعمان بن المنذر

تنهد مالك بن قراد وقال:

ـ هذا مهر ابنتى.

فذهب عنتر إلى مملكة الملك النعمان بن المنذر فلما عرفه طلب منه أن يحارب مع جيش أعداء مملكته، فهزم عنترة أعداء الملك النعمان بن المنذر، ولما قص عليه قصة عمه مالك بن قراد تبسم الملك النعمان بن المنذر وقال:

ـ إن عمك خبير بالمؤامرات والشراك ولكنى يا فارس ويا شاعر بنى عبس سأمنحك النوق السود لتتزوج عبلة.

وساق عنترة ثلاثمائة من النوق السود فلم يجد مالك بن قراد ما يقوله، وتزوج عنترة بن شداد عبلة بنت عمه مالك بن قراد بعد أن ذاق الأهوال بسببها وتحقق له ما سعى إليه وكافح من أجله.

*** وفاته:**

قتل أبو الفوارس عنترة بن شداد غدراً على يد **وزر بن جابر النبهانى،** وكان عنترة قد أغار علي بنى نبهان من طىء، وساق لهم طريدة فرآها وزر بن جابر فرماه بنبلة فأصابت فقرة فى ظهر عنترة فتحامل حتى صار إلى بنى عبس ثم مات على أثر ذلك الجرح سنة ٦١٥ ميلادية.

قيس بن الخطيم

*** نسبه :**

هو قيس بن الخطيم بن عدى بن عمرو

*** شاعر الأوس :**

أحد صناديدها فى الجاهلية.

وأحد فرسان العرب المعروفين.

قتل رجل من بنى عمرو بن عامر يقال له مالك جد قيس عدى بن عمرو

وقتل أباه الخطيم بن عدى بن عمرو **رجل من بنى قيس ممن يسكن هجر.**

وكان قيس بن الخطيم يوم قتل أبوه صغيرا، وقتل الخطيم قبل أن يثأر بأبيه عدى بن عمرو.

*** هذا قبر أبيك**

خشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه الخطيم وجده عدى بن عمرو فيهلك وليس لديها سواه، فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارها فوضعت عليها أحجارا وجعلت تقول لقيس:

هذا قبر أبيك وجدك.

فكبر قيس بن الخطيم وهو لا يشك فى أن هذا قبر أبيه وجده.

*** من قاتل أبى وجدى؟**

نشأ قيس بن الخطيم شديدا قوى الساعدين، فنازع يوما فتى من فتيان بنى ظفر فغلبه فقال له ذلك الفتى:

ـ والله لو جعلت شدة ساعديك على قاتل أبيك وجدك لكان خيرا لك من أن تخرجها على

فتساءل قيس بن الخطيم:

ـ ومن قاتل أبى وجدى؟

قال الفتى الظفرى :

ـ سل أمك تخبرك

فأخذ قيس بن الخطيم السيف ووضع قائمة على الأرض وطرفه الذى يضرب به بين ثدييه، وقال لأمه:

ـ أخبرينى من قتل أبى وجدى؟

قالت الأم:

ـ ماتا كما يموت الناس، وهذان قبراهما بالفناء.

فقال قيس بن الخطيم :

ـ والله لتخبرينى من قتلهما أو لأتحملن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى.

فقالت الأم لما رأت الجد والإصرار فى عينى ابنها:

ـ رجل من بنى عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك، وأما أبوك فقتله رجل من عبد قيس يسكن هجر.

فقال قيس بن الخطيم:

ـ والله لا أنتهى حتى أقتل قاتل أبى وجدى.

فقالت الأم:

ـ يا بنى إن مالكا قاتل جدك من قوم خداش بن زهير، ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر، فأته فاستشره فى أمرك واستعنه يعنك.

*** الثأر**

خرج قيس بن الخطيم حتى أتى ناضحه ـ الناضح: البعير الذى يستسقى عليه الماء ـ وهو يسقى نخلة، فضرب الحبل بالسيف فقطعه، فسقطت الدلو فى البئر،

وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين ـ الغرارة : الكيس ـ من تمر وقال:

ـ من يكفينى أمر هذه العجوز ـ يعنى أمه ـ ؟ فإنه من أنفق عليها من هذا البستان حتى تموت ثم هو له، وإن عشت فمالى عائد إلى وله منى ما شاء أن يأكل من ثمره

فقال رجل من الأوس:

ـ أنا له.

فأعطاه قيس بن الخطيم البستان، ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دل عليه بمر الظهران ـ واد قرب مكة ـ فسار إلى خبائه فلم يجده فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه، ثم نادى امرأة خداش:

ـ هل من طعام؟

فأطلعت إليه فقالت:

ـ والله ما عندنا من نزل ـ ما يهيأ للضيف من قرى ـ نرضاه لك إلا تمرا

فقال قيس بن الخطيم:

ـ لا أبالى أخرجى ما عندك.

فأرسلت إليه بمكيال فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شقها ـ نصفها ـ ورد شقها الباقى فى المكيال، ثم أمر بالمكيال فأدخل على امرأة خداش بن زهير، ثم ذهب قيس بن الخطيم لبعض حاجته

ورجع خداش بن زهير فأخبرته امرأته خبر قيس بن الخطيم فقال:

ـ هذا رجل متحرم ـ له عندنا حرمة وذمة ـ

وأقبل قيس بن الخطيم راجعا، فلما رآه خداش بن زهير وهو على بعيره قال لامرأته:

ـ هذا ضيفك؟

قالت امرأة خداش:

ـ نعم

قال خداش بن زهير:

ـ كأن قدمه قدم الخطيم اليثربى صديقى

فلما دنا قيس بن الخطيم منه قرع طنب البيت ـ الطنب : الحبل تشد الخيمة ونحوها ـ بسنان رمحه واستأذن، فأذن له خداش، فدخل إليه، فطلب إليه أن ينتسب ويخبر عن نفسه، فانتسب وأخبره بالذى جاء له، وسأله أن يعينه وأن يشير عليه فى أمره، فرحب خداش بن زهير وذكر نعمة أبيه عنده وقال:

ـ إن هذا الأمر مازلت أتوقعه منذ حين، فأما قاتل جدك فهو ابن عم لى وأنا أعينك عليه، فإذا اجتمعنا فى نادينا جلست إلى جانبه وتحدثت معه، فإذا ضربت فخذه فثب عليه واقتله.

فأقبل قيس بن الخطيم مع خداش بن زهير حتى قام على رأسه لما جالسه خداش، وحين ضرب فخذه ضرب قيس بن الخطيم رأسه بالسيف، فثار إليه القوم ليقتلوه فحال خداش بن زهير بينه وبينهم وقال:

ـ دعوه فإنه ولله ماقتل إلا قاتل جده.

ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه وانطلق مع قيس بن الخطيم إلي **العبدى الذى قتل أباه، حتى إذا كانا قريبا من هجر** أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه ، فإذا دل عليه قال:

ـ إن لصا من لصوص قومك عارضنى فأخذ منى متاعا لى فسألت: من سيد قومه؟

فدللت عليك فانطلق حتى نأخذ متاعى منه فإن تبعك وحده فستنال ما تريد منه، وإن أرسل معك غيره فاضحك، فإن سألك مم تضحك؟ فقل: إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعت إذا دعى إلى اللص من قومه، إنما يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى كل شىء أخذه فاننى أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه.

ونزل خداش تحت ظل شجرة، وخرج قيس بن الخطيم حتى أتى العبدى فقال له ما أمره به خداش بن زهير فأغضبه فأمر أصحابه فرجعوا، ومضى مع قيس بن الخطيم .

فلما طلع على خداش قال له:

ـ اختر يا قيس إما أن أعينك وإما أن أكفيك.

قال قيس بن الخطيم:

ـ لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلنى فلا يفلتن منك

ثم ثار قيس إلى العبدى فطعنه بالحربة فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه. فلما فرغ قيس بن الخطيم منه قال له خداش بن زهير:

ـ إنا إن فررنا الآن طلبنا قومه ولكن ادخل بنا مكانا قريبا من مقتله، فإن قومه لا يظنون أنك قتلته وأقمت قريبا منه، ولكنهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره، فإذا وجدوه قتيلا خرجوا فى طلبنا فى كل وجه، فإذا يئسوا رجعوا.

فدخل قيس بن الخطيم وخداش بن زهير فى دارات من رمال هناك .

وفقد العبدى قومه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلا، فخرجوا فى طلب خداش بن زهير وقيس بن الخطيم حتي يئسوا فرجعوا، وأقاما مكانهما أياما ثم خرجا حتى أتيا منزل خداش ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله.

وفى ذلك يقول:

ثأرت عديا والخطيم فلم أُضع وصية أشياخ جعلت ازاءها

وعاد قيس بن الخطيم إلى أمه وإلى بستانه، ففرحت أمه به كثيرا لأنها خشيت عليه أن يقتله قاتل أبيه أو جده.

وقال قيس بن الخطيم:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

عامر بن الطفيل

كان عامر بن الطفيل من أشهر فرسان العرب بأسا ونجده، وأبعدها إسما وشهره، كان فارس قيس وسيدهم، وكان شاعرا جيد الشعر

ومن شعره:

وما الأرض إلا قيس عيلان أهلها لهم ساحاتها سهلها وحزومها

وقد نال آفاق السموات مجدنـــا لنا الصحو من آفاتها وغيومها

*** الثأر**

كانت بنو عامر تطلب بنى الحارث بن كعب بأوتار - جمع وتر وهو الثأر - كثيرة فجمع لهم الحصين بن يزيد الحارثى - وكان يغزو بمن معه من قبائل مذحج - وأقبل فى بنى الحارث وجعفى وزُبيد، وقبائل سعد العشيرة ومراد وصداء، ونهد واستعانوا بقبائل من خثعم - بنو الحارث وسعد العشيرة وجعفى وزبيد فى مذحج، ومراد بطن فى كهلان وصداء ونهد بطنان فى قضاعة، وخثعم بطن فى كهلان - فخرج شهدان وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك، وأقبلوا يريدون بنى عامر، وهم منتجعون مكانا يقال له فيف الريح ومع مذحج النساء والذرارى حتى لا يفروا، إما ظفروا وإما ماتوا جميعا.

فاجتمعت بنو عامر كلها إلى عامر بن الطفيل فقال لهم حين بلغه مجىء القوم:

- أغيروا بنا عليهم فإنى أرجو أن نأخذ غنائمهم، ونسبى نساءهم فلا تدعوهم يدخلون عليكم دياركم.

فتابعوه علي ذلك وأيدوا رأيه.

وقد جعلت مذحج رقباء ليأتوهم بالأخبار، فلما دنت بنو عامر من القوم، صاح الرقباء:

ـ أتاكم القوم ـ الجيش ـ

فلم يكن بأسرع من أن جاءتهم مسالحهم ـ المسالح ـ: جمع مسلحة وهم القوم ذوو السلاح ـ تركض، فقال أنس بن مدرك لقومه قبائل خثعم:

ـ انصرفوا بنا ودعوا هؤلاء فإنهم إنما يطلب بعضهم بعضا ولا أظن عامرا تريدنا.

وقام الحصين بن زيد فقال:

ـ افعلوا ماشئتم فانا والله ما نراد دونكم، وما نحن بشر بلاء عند القوم فانصرفوا إن شئتم، فانا نرجو ألا نعجز عن بنى عامر.

فقالت خثعم لأنس بن مدرك:

ـ إنا كنا وبنو الحارث على مياه واحدة فى مراع واحدة وهم لنا سلم، وهذا عدو لنا ولهم، فنريد أن تنصرف عنهم، فوالله لئن سلموا وغنموا لنندمن ألا نكون معهم، ولئن ظفر بهم لتقولن العرب: خذلته جيرانكم.

فأجمعوا علي أن يقاتلوا معهم.

وجعل حصين لخثم ثلث المرباع ـ ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة ـ ومناهم الزيادة

وكان عامر بن الطفيل بعث إلى بنى هلال بن عامر فاشترى منهم أربعين رمحا بأربعين بكرة ـ البكرة: التى لها سنة من الإبل ـ فقسمها فى أفناء بنى عامر

والتقى القوم فاقتتلوا قتالا شديدا ثلاثة أيام، والتقى الصميل بن الأعور الكلابى ـ من بنى كلاب وهم بطن من عامر ـ وعمرو بن صبيح النهدى ـ من نهد وهم أحلاف بنى الحارث ـ فطعنه عمرو فذهب الصميل بطعنته معانقا فرسه حتى ألقاه فرسه إلى جانب الوادى، فاعتنق صخرة وهو يجود بنفسه، فمر به رجل من خثعم **فأخذ درعه وفرسه وأجهز عليه.**

وشهدت بنو نمير يومئذ مع بنى عامر فسموا حريجة ـ اجتمعوا فصاروا بمنزلة الحرجة وهى شجر مجتمع ـ الطعان، وذلك أن بنى عامر جالوا جولة إلى موضع

يقال له العرقوب، فالتفت عامر بن الطفيل فسأل عن بنى نمير فوجدهم قد تخلفوا عن قتال القوم.

فرجع يصيح:

ـ يا صبحاه يا نميراه ولا نمير لى بعد اليوم.

حتى أقحم فرسه وسط القوم فطعن يومئذ عشرين طعنة ، وبرز يومئذ حسيل بن عمرو الكلابى فبرز له صخر بن أعى النهدى فقال عامرين الطفيل لحسيل بن عمرو:

ـ ويلك يا حسيل لا تبرز له فإن صخرا صخرة، وأن أعى يعيا عليك.

ولكن حسيلا لم يستمع لقوله فبرز للقتال **فقتله صخر**.

وكان عامر بن الطفيل يتعهد الناس فيقول :

ـ يا فلان ما رأيتك فعلت شيئا .

فيقول الرجل الذى أبلى:

ـ انظر إلى سيفى وما فيه، وإلى رمحى وسنانى .

فأقبل مسهر بن يزيد الحارثى ـ كان فارسا شجاعا وشريفا من سادة قومه ولكن أحدث جناية فى قومه فلحق ببنى عامر ـ فى تلك الهينة، لما رأى عامر بن الطفيل يصنع بقومه الأفاعيل فقال:

ـ يا أبا على انظر ما صنعت بالقوم، انظر إلى رمحى .

فلما أقبل عامر بن الطفيل لينظر وجأه مسهر بن يزيد ـ وجأه غدرًا لأن عامر بن الطفيل آمن لجانب مسهر فهو فى جوارهم وديارهم هربا من قومه ـ بالرمح فى وجنته ففلق وجنته، وأصاب عينه، وخلى الرمح فيها، وضرب فرسه فلحق بقومه، فكان ذلك مغفرة لمسهر بن يزيد عندهم لأنه طعن سيد بنى عامر وفارسها عامر بن الطفيل

وفى ذلك يقول عامر بن الطفيل:

لعمرى وما عمرى على بهين لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

فبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا جبانا وما أغنى لدى كل محضر

وقد علموا أنى أكر عليهم عشية فيف الريح كر المدور

ويضيف عامر بن الطفيل :

أتونا بشهران العريضة كلها وأكلبها فى مثل بكر بن وائل

فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا يبت عن قرى أضيافه غير غافل

أعاذل لو كان البداد لقوتلوا ولكن أتانا كل جن وخابل

وخثعم حى يعدلون بمذحج وهل نحن إلا مثل إحدي القبائل

شهران وناهس وأكلب كان عليهم أنس بن مدرك الخثعمى

*** يا نفس إلا تقتلى تموتى :**

ذات يوم غزت بنو عامر غطفان بالرقم، وكان على بنى عامر فارسها عامر بن الطفيل، وعلم بذلك بنو مرة بن عوف ومعهم قوم من أشجع وآخرون من فزارة، فخرجوا إليهم واقتتلوا قتالا شديدا، وانهزم بنو عامر، وجعل عامر بن الطفيل يقول:

يا نفس إلا تقتلى تموتى

وأسرت يومها غطفان من بنى عامر أربعة وثمانين رجلا دفعوهم إلى أهل بيت من أشجع كانت بنو عامر قد أصابوا فيهم فقتلوهم جميعا.

*** يوم النتاءة**

خرجت بنو عامر تريد غطفان لتدرك ثأرها يوم الرقم، فأغاروا على نعم بنى عبس وفزارة وأشجع فأخذوها وعادوا متوجهين إلى ديارهم، فضلوا الطريق وسلكوا وادى النتاءة ـ النتاءة لغطفان على عامر ، والنتاءة نخيلات لبنى عطارد ـ فأمعنوا فيه ولا طريق لهم ولا مطمع، حتى قاربوا آخره، وكان الجبلان يلتقيان، وإذا هم بامرأة تخبط الشجرة فى قلة الجبل ـ قلة الجبل: قمة الجبل ـ فسألوها:

ـ أين المطلع؟

قالت:

ـ الفوارس المطلع

وكانت قد رأت الخيل قد أقبلت وهى على الجبل ولم يرها بنو عامر لأنهم فى الوادى، فأرسلوا رجلا إلى قمة الجبل ينظر لهم فسألوه:

ـ ماذا ترى ؟

قال الرجل:

ـ أرى قوما كأنهم الصبيان على متون الخيل، أسنة رماحهم عند آذان خيلهم

قال بنو عامر:

ـ تلك فزارة

وقال الرجل:

ـ وأرى قوما بيضا جعادا ـ الجعد: الخفيف من الرجال، وقيل: المجتمع الشديد، وجمعه جعاد ـ كأن عليهم ثيابا حمرا.

قالوا:

ـ تلك أشجع

قال الرجل:

ـ وأرى قوما نسورًا قد علوا خيولهم لهم آخذين بعوامل رماحهم ـ عامل الرمح: صدره دون السنان ـ يجرونها.

قالوا:

ـ تلك عبس ـ عبس: فزارة وأشجع وعبس: بطون فى غطفان ـ آتاكم الموت الزؤام ـ العاجل والسريع، وقيل: الكريه المؤلم ـ

ولحق بنى عامر الطلب بالوادى فاقتتلوا قتالا شديدا.

وكان عامر بن الطفيل أول من سبق على فرسه الورد فقاتل القوم.

وقتل كثير من بنى عامر، وكانت الهزيمة من نصيبهم، وقتل عبد الله بن الطفيل وغيره من أشراف بنى عامر.

*** عامر بن الطفيل وأصحاب رسول الله ﷺ**

لما قدم قدم أبو عامر بن مالك ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ وهو عم عامر بن الطفيل فعرض رسول الله ﷺ على أبى عامر الإسلام ودعاه إليه فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام وقال:

- إنى أرى أمرك هذا أمرا حسنا شريفا.

ثم قال:

- يا محمد لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد أى وهم بنو عامر وبنو سليم فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك.

فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ:

- إنى أخشى أهل نجد عليهم.

قال أبو براء:

- أنا لهم جار وهم فى جوارى وعهدى، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

ورجع أبو براء إلى نجد وأخبرهم أنه قد أجار أصحاب محمد ﷺ

فبعث المبعوث للناس كافة ﷺ المنذر بن عمرو فى أربعين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين - كان يقال لهؤلاء القراء لملازمتهم قراءة القرآن - فكانوا إذا أمسوا اجتمعوا فى ناحية المدينة يصلون ويتدارسون القرآن فيظن أهلوهم أنهم فى المسجد ويظن أهل المسجد أنهم فى أهاليهم حتى إذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا وجاءوا بذلك إلى حجر النبى ﷺ

وقيل: إنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويتدارسون القرآن بالليل، وكانوا يبيعون الحطب ويشترون به طعاما لأصحاب الصفة - أهل الصفة -

وكتب أبو القاسم ﷺ لهم كتابا، وساروا حتى نزلوا بئر معونة أرض بين بنى عامر وحرة بنى سليم ، الحرة: أرض فيها حجارة سود فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل وهو رأس بنى عامر وابن أخى أبى براء، فلم ينظر عامر بن الطفيل فى الكتاب فقال حرام بن ملحان:

ـ يا أهل بئر معونة إنى رسول رسول الله ﷺ إليكم فآمنوا بالله ورسوله

فجاء رجل من خلفه **فطعنه بالرمح فى جنبه فوقع على وجهه** ورأسه فقال:

ـ الله أكبر فزت ورب الكعبة.

ثم استغاث عليهم عامر بن الطفيل بنى عامر **فأبوا أن يجيبوه** إلى ما دعاهم إليه وقالوا:

ـ إنا لن نخفر أبى براء لا نزيل خفارة أبى براء وننقض عهده وقد عقد لهم عقدا وجوارا

فاستصرخ عليهم عامر بن الطفيل قبائل بنى سليم: عصية ورعلا وذكوان فخرجوا وأحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ وقتلوهم إلى آخرهم **إلا كعب بن يزيد** فإنه بقى وبه رمق.

*** رسول الله ﷺ وعامر بن الطفيل:**

فى العام التاسع من الهجرة قدمت الوفود من مشارق الأرض ومغاربها إلى مدينة رسول **الله** ﷺ مبايعة معلنة إسلامها فقد دخل الناس فى دين **الله** أفواجا، وقدم وفد بنى عامر وفيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وحيان بن سلمى وكان **هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم** وكان مقدم عامر بن الطفيل على النبى عليه الصلاة والسلام **للغدر به** فقد جاء له قومه:

ـ يا عامر إن الناس قد أسلموا فأسلم

فقال عامر بن الطفيل:

ـ والله لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى فأنا أتبع هذا الفتى من قريش؟

ثم قال عامر بن الطفيل لأربد بن قيس:

ـ إن قدمنا علي الرجل فإنى سأشغل عنك وجهه، فإن فعلت ذلك فاعله فاضربه بالسيف

فلما قدموا على المبعوث رحمة للعالمين ﷺ قال عامر بن الطفيل:

ـ يا محمد خالنى ـ تفرد لى خاليا ـ

وينظر عامر بن الطفيل إلى أربد بن قيس لكى يضرب محمدا ﷺ بالسيف، ولكن أربد بن قيس لا يحرك ساكنا، فلما رأى عامر بن الطفيل ما يصنع أربد بن قيس قال:

ـ يا محمد خالنى

قال الذى لاينطق عن الهوى ﷺ :

ـ لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له

فعا د عامر بن الطفيل يقول:

ـ يا محمد خالنى

فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال:

ـ أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا.

ثم انصرف عامر بن الطفيل، فلما ولى قال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ اللهم اكفنى عامر بن الطفيل

*** وفاته:**

لما خزج عامر بن الطفيل من عند رسول الله ﷺ قال لأربد بن قيس **معاتبا:**

ـ أين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان علي ظهر الأرض رجل أخوف على نفسى منك، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا.

قال أربد بن قيس:

ـ لا أبالك لا تعجل علي والله ما هممت بالذى أمرتنى به إلا دخلت بينى وبين

الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف؟

فخرجا راجعين إلى بنى عامر.

ولما كانا ببعض الطريق استجاب العزيز المجيب دعوة حبيبه ﷺ **فأصاب الطاعون عنق عامر بن الطفيل فقتله** فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول:

- يا بنى عامر أغدة كغدة البكر الفتى من الإبل؟

الزيرسالم

*** نسبه**

اشتهر باسم مهلهل، وهو: عدى بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جُشيم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب.

ولقب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر وقصّد القصائد.

*** مقتل كليب بن ربيعة**

كانت بنو جشيم وبنو شيبان أخلاطا فى ديار واحدة إرادة الجماعة ومخافة الفرقة وتزوج كليب بن ربيعة بجليلة بنت مُرة بن شيبان بن ثعلبة وهى أخت جساس بن مرة.

وحمى كليب أرضا من العالية لا يقربها إلا محارب.

ونزل سعد بن شميس بن طوق الجرمى بالبسوس بنت منقذ التميمة خالة جساس بن مرة، وكان لسعد بن شميس الجرمى ناقة اسمها سراب ـ وفى بعض الروايات الأخرى أن سراب ملك البسوس خالة جساس وهى التى نزلت فى حمى ابن أختها ـ ترعى مع نوق جساس وهى التى ضربت العرب بها المثل فقالوا.

ـ أشأم من سراب، وأشأم من البسوس.

خرج كليب يوما وإبل جساس مختلطة ، فنظر كليب إلى سراب فأنكرها فقال له جساس وكان معه:

ـ هذه ناقة جارنا الجرمى.

فقال كليب:

ـ لا تعد هذه الناقة إلى هذا الحمى.

فقال جساس:

ـ لا ترعى إبلى مرعى إلا وهذه معها.

قال كليب:

ـ لئن عادت لأضعن سهمى فى ضرعها.

قال جساس بن مرة :

ـ لئن وضعت سهمك لأضعن رمحى فى لبتك ـ اللبة: موضع القلادة من العنق ـ

ثم تفرقا.

وسأل كليب امرأته جليلة بنت مرة:

ـ أترين أن فى العرب رجلا مانعا منى جاره؟

قالت:

ـ لا أعلمه إلا جساسا

فحدثها الحديث، وكان بعد ذلك إذا أراد كليب الخروج إلى الحمى منعته جليلة بنت مرة وناشدته الله أن لا يقطع رحمه، وكانت تنهى أخاها جساسا أن يسرح ابله.

ثم إن كليبا خرج إلى الحمى، وجعل يتفقد الإبل فرأى ناقة الجرمى ـ البسوس ـ **فرمى ضرعها بسهم فأنفذه فنزلت الناقة ولها عجيج حتى بركت بفناء دار صاحبها.** فلما رأى الجرمى ـ البسوس ـ ما بناقته صرخ بالذل، وسمعت البسوس من صراخ جارها فخرجت إليه فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها ثم صاحت:

ـ واذلاه

وكان جساس يراها ويسمعها فمشى إليها وقال لها:

ـ اسكتى ولا تراعى

وسكن جساس بن مرة سعد بن شميس الجرمى ، ثم التفت إلى خالته

البسوس وقال لها:

ـ إننى سأقتل جملا أعظم من هذه الناقة.

ثم استدرك جساس فقال:

ـ سأقتل غلالا ـ وهو فحل ابل كليب لم ير فى زمانه مثله ـ

وكان لكليب عين ـ جاسوس ـ يسمع ما يقولون فأخبر كليب بن ربيعة بما سمع فقال كليب:

ـ لقد اقتصر من يمينه على غلال.

وراح جساس بن مرة يطلب غرة أو غفلة كليب بن ربيعة.

وذات يوم خرج كليب آمنا فلما بعد عن الديار ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليب بن ربيعة فوقف كليب فقال له جساس:

ـ يا كليب الرمح وراءك

فقال كليب بن ربيعة:

ـ إن كنت صادقا فأقبل إلى من أمامى.

ولم يلتفت كليب بن ربيعة إلى جساس بن مرة فطعنه جساس فأرداه عن فرسه، فقال كليب:

ـ يا جساس أغثنى بشربة ماء.

فلم يأته بشىء

وقضى كليب نحبه فأمر جساس بن مرة عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان وكان معه فجعل عليه حجارة لئلا تأكله السباع.

ولما قتل جساس كليبا انصرف على فرسه يركضه وقد بدت ركبتاه، فلما رأى أبوه مرة ذلك قال لمن معه:

ـ لقد آتاكم جساس بداهية ما رأيته بادى الركبتين إلى اليوم.

فلما وقف جساس على أبيه مرة قال:

ـ مالك يا جساس؟

قال جساس:

ـ طعنت طعنة يجتمع لها بنو وائل غدا رقصا.

فتساءل مرة :

ـ ومن طعنت؟ لأمك الثكل.

قال جساس بن مرة:

ـ قتلت كليبا

قال مرة:

ـ أفعلت؟

قال جساس بن مرة:

ـ نعم

قال مرة:

ـ بئس والله ما جئت به قومك

ثم إن مرة دعا قومه إلي نصرته فأجابوه وتهيؤا للرحلة إلى جماعة قومه

*** همام ومهلهل**

كان همام بن مرة أخو جساس ومهلهل بن ربيعة أخو كليب فى ذلك الوقت يشربان الخمر، وعلم همام ما جرى لقد جاءت جارية وأخبرته فلما لعبت الخمر برأس مهلهل انسل همام كالظل وعاد إلى أهله، وأما مهلهل بن ربيعة لما أفاق لم يرعه إلا النساء يصرخن:

ـ ألا إن كليبا قتل

فانطلق مهلهل بن ربيعة إلى المكان الذى قتل فيه كليب فرأى دمه، وأتى قبره فوقف عليه وعاهده على الإنتقام والثأر لمقتله.

وجز مهلهل بن ربيعة شعره وقصر ثوبه وهجر النساء، وجمع قومه فأتوا مرة

ابن ذهل بن شيبان وهو بين قومه فقالوا له:

- إنكم أتيتم عظيما بقتلكم كليبا بناقة ، وقطعتم الرحم وأنتهكتم الحرمة، وإنا نعرض عليكم خلالا لكم فيها مخرج ولنا فيها مقنع.

ولكن مرة بن ذهل بن شيبان رفض الخلال جميعا فغضب القوم وعادوا إلى مهلهل بن ربيعة.

*** الحرب**

نشبت الحرب بينهم ولحقت جليلة بنت مرة بقومها، وجعلت تغلب تطلب جساس بن مرة أشد الطلب، حتى ألح عليه أبوه مرة بالخروج إلى أخواله بنى تميم فى الشام، وأخيرا رضخ جساس لطلب أبيه، فلحق به أبو نويرة التغلبى ومن معه **من تغلب ونشبت بينهما معركة قتل على أثرها أبو نويرة التغلبى ومن معه وجرح جساس بن مرة جرحا بليغا فقد طعنه الهجرس بن كليب ابن أخته جليلة بنت مرة فمات متأثرا منه.**

*** مهلهل بن ربيعة يرفض الصلح.**

لما قتل جساس بن مرة، أرسل مرة بن ذهل بن شيبان إلى مهلهل بن ربيعة يقول له:

- لقد أدركت ثأرك وقتلت جساسا فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والإسراف وأصلح ذات البين فهو أصلح لحيين وأنكأ لهدوهم فلم يجب مهلهل إلى ذلك

وقال مهلهل بن زبيعة يرثى أخاه كليبا

كليب لا خير فى الدنيا ومن فيها ... إذا أنت خليتها فيمن يخليها
نعى النعاة كليبا لى فقلت لهم ... مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنيعته ... ماكل آلائه يا قوم أحصيها
القائد الخيل تردى فى أعنتها ... رهوًا إذا الخيل لجت فى تعاديها
ليت السماء علي من تحتها وقعت ... وانشقت الأرض فانجابت بمن فيها
لا أصلح الله منا من يصالحكم ... مالاحت الشمس فى أعلى مجاريها

*** تغلب وبكر**

التقت تغلب وبنو بكر يوم النهى ، وكانت بنو شيبان نازلة عليه وكان يرأس تغلب مهلهل بن ربيعة ويرأس شيبان الحارث بن مرة وكانت الغلبة لبنى تغلب.

ثم التقوا ثانية بالذئاب وهي أعظم وقعة كانت لهم فظفرت بنو تغلب وقتلت من بني بكر مقتلة عظيمة، وقتل شرحبيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان، وقتل الحارث بن مرة وغيره من رؤساء بكر عمرو بن سدوس وغيره.

ثم التقوا **يوم واردات** فاقتتلوا قتالا شديدا فظفرت تغلب أيضا وكثر القتل فى بنى بكر **وقتل همام بن مرة أخو جساس فمر مهلهل فلما رآه قتيلا قال:**

ـ والله ما قتل بعد كليب أعز على منك، وتالله لا يجتمع بكر بعدكما على خير أبدا.

*** شدة انتقام مهلهل بن ربيعة:**

أقسم مهلهل بن ربيعة عندما بلغه مقتل أخيه كليب ليقتلن بكل عضو من أخيه رجلا من بنى بكر، وقد أقسم فأبر بقسمه، ولقد دامت حرب البسوس **أربعين سنة وكان سببها ناقة، وفنى فى هذه الحرب خلق كثير، وكان الزير سالم كلما قتل رجلا من بنى بكر قال:**

ـ يا لثارات الملك كليب.

*** الحيلة:**

كان مهلهل بن ربيعة يمر على قبر أخيه كليب ويعلمه بأخبار الحرب وعدد القتلى ثم يسأله:

ـ هل اكتفيت يا أخى؟

فتوصل بنو بكر لإيقاف القتال باستخدام الحيلة، فوضعوا رجلا فقيرًا داخل قبر كليب بن ربيعة، حتى إذا جاء مهلهل بن ربيعة وسأل أخاه كليب بن ربيعة ذلك السؤال:

ـ هل اكتفيت يا أخي؟

يجيبه الرجل الفقير:

ـ اكتفيت يا أخي فاغمد سيفك عن قتال القوم.

ولما مر مهلهل بن ربيعة بقبر أخيه كعادته وسأله فرد عليه الرجل الفقير، فرح المهلهل ونزل عن فرسه وسار نحو القبر وقال:

ـ أنت حي يا أخي ونحن نعاني الأهوال على فقدك إن كنت يا أبا اليمامة ـ أنجبت جليلة بنت مرة زوجة كليب سبع بنات أصغرهن اليمامة وكان كليب يكنى بها لتعلقه بها وفرط ذكائها، ثم أنجبت جليلة بنت مرة الهجرس بعد وفاة كليب إذ كانت حاملا به ـ فما هذه الإقامة؟

وواجه مهلهل بن ربيعة الرجل المختبيء في القبر فسأله في دهش:

ـ من تكون؟ ماذا تفعل هنا؟ ومن أرسلك؟

وجذب مهلهل بن ربيعة الرجل من لحيته وهم أن يقتله، ولكن الرجل استجار بكليب، فأجاره الزير سالم وعفا عنه.،

ولما علم منه الحيلة التي دبرها بنو بكر أقسم أن لا يغمد سيفه.

* الحارث بن عباد يتدخل لانهاء الحرب.

اجتمع بنو بكر إلى الحارث بن عباد وقالوا له:

ـ قد فني قومك فأرسل بجيرا ابن أخيك إلى المهلهل.

فبعث الحارث بن عباد ابن أخيه بجيرا إلى الزير سالم فقال له:

ـ إني قد اعتزلت قومي لأنهم ظلموك وخليتك وإياهم، وقد أدركت ثأرك وقتلت قوما.

فلما أتى بجير الزير سالم ليخبره بما قال الحارث بن عباد أراد المهلهل قتل بجيرا فقال له أمرؤ القيس بن أبان وهو من أشراف تغلب:

- لا تفعل فوالله لئن قتلته ليقتلن منكم كبش فقد اعتزلنا عمه الحارث بن عباد وأبوه وأهل بيته

فأبى المهلهل إلى قتله، فطعنه بالرمح وقال:

- بشسع نعل كليب.

فلما بلغ الحارث بن عباد أن المهلهل بن ربيعة قتل بجيرا ابن أخيه، وكان من أحب الناس إليه والحارث أحلم أهل زمانه وأشدهم بأسا فقال:

- نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل تغلب وتغلب

فقيل له:

- لم تنته الحرب به

فأرسل الحارث بن عباد إلى الزير سالم يقول له:

- إن كنت قتلت بجيرا بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين اخوانكم فقد طابت نفسى بذلك

فرد عليه المهلهل بن ربيعة:

- إنما قتلته بشسع نعل كليب.

فغضب الحارث بن عباد ودعا بفرسه وكانت تسمى النعامة فجز ناصيتها وقال:

كل شيء مصيره للزوال	غير ربى وصالح الأعمال
وترى الناس ينظرون جميعا	ليس فيهم لذاك بعض احتيال
قال لأم الأغر تبكى بجيرا	ما أتى الماء من رؤوس الجبال
لهف نفسى على بجير إذا ما	جالت الخيل يوم حرب عضال
وتسامى الكماة سما نقيعا	وبد البيض من قباب الحجال
وسعت كل حرة الوجه تدعو	يا لبكر غراء كالتمثال
يا بجير الخيرات لاصلح حتى	تملأ البيد من رءوس الرجال

يا بنى تغلب قتلتم قتيلا ما سمعنا بمثله فى الخوالى
قربا مربط النعامة منى لقحت حرب وائل عن حيال

الكماة: جمع كمى: وهو الشجاع

حرب: يعنى أن حرب وائل هاجت بعد سكون

*** الزير سالم أسيرا:**

حلقت بنو بكر رؤوسها استبسالا للموت، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم

والتقى بنو بكر وبنو تغلب، واقتتل الفرسان، وانهزم بنو تغلب، ولحقت بالظعن بقية يومها وليلتها، وتبعهم فرسان بنى بكر، وتخلف الحارث بن عباد فقال لسعد بن مالك ـ ابن عم الحارث بن عباد وشاعر من أبرز شعراء بنى بكر وأحد ساداتها ـ:

ـ أترانى ممن وضعته الحرب؟

قال سعد بن مالك:

ـ لا ولكن لا مخبأ لعطر بعد عروس إن لم تنصر قومك الآن فلمن تدخر نصرك؟

فانطلق الفارس الكبير الحارث بن عباد إلى ميدان القتال فلقى المهلهل بن ربيعة بعد أن انهزم الناس وتركوه، وأسر الحارث بن عباد الزير سالم وهو لا يعرفه فسأله الحارث بن عباد:

ـ دلنى على المهلهل

قال الزير سالم:

ـ ولى دمى؟

قال الحارث بن عباد:

ـ ولك دمك.

قال المهلهل بن ربيعة :

ـ ولى ذمتك وذمة أبيك؟

قال الحارث بن عباد :

ـ نعم

وكان المهلهل ذا رأى ومكيدة فقال:

ـ فأنا المهلهل خدعتك عن نفسى والحرب خدعة.

فقال الحارث بن عباد :

ـ كافئنى بما صنعت لك بعد جرمك ودلنى على كفء لبجير.

فقال الزير سالم:

ـ لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان.

فجز الحارث بن عباد ناصية المهلهل ـ الناصية فى مقدم الرأس فوق الجبهة، وكان من عادة العرب إذا أنعموا على الرجل بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند من جزها ـ وأطلقه

ثم قصد الحارث بن عباد امرأ القيس بن أبان فشد عليه فقتله.

*** الزير سالم يطلب من بنى تغلب انهاء الحرب.**

عندما عاد الزير سالم إلى بنى تغلب قال:

ـ قد رأيت أن تبقوا على قومكم، فإنهم يحبون صلاحكم، وقد أتت على حربكم أربعون سنة، وما لمتكم على ما كان من طلبكم بثأركم، فلو مرت هذه السنون فى رفاهية عيش لكانت تمل من طولها، فكيف وقد فنى الحيان وثكلت الأمهات ويتم الأولاد، ورب نائحة لا تزال تصرخ فى النواحى ودموع لا ترقأ وأجساد لا تدفن، وسيوف مشهورة ، ورماح مشرعة، وإن القوم سيرجعون إليكم غدا بمودتهم ومواصلتهم، وتتعطف الأرحام حتى تتواصلوا، أما أنا فما تطيب نفسى أن أقيم بينكم وأنا سائر عنكم إلى اليمن.

*** الزير سالم فى اليمن:**

خرج مهلهل بن ربيعة حتى لحق بأرض اليمن، وزوج ابنته ليلى - اسمها سليمى - من كلثوم بن مالك بن عتاب بن ربيعة بن زهير التغلبى فأنجبت البطل العربى والفارس والشاعر الكبير عمرو بن كلثوم.

عمرو بن كلثوم

*** نسبه**

أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن ربيعة بن زهير التغلبى

كان أبوه كلثوم سيد قومه.

وأمه ليلى

وقيل: سليمى

وقيل: أسماء بنت الزير سالم أخى كليب بن ربيعة.

اشتهرت أمه بالأنفة وعظم النفس، كما كانت لمكانتها من فضليات السيدات العربيات قبل الإسلام.

*** بيته وموطنه.**

ولد عمرو بن كلثوم فى قبيلة تغلب بن وائل، وتغلب لها الشرف والسيادة واالمجد فى قبائل العرب، وأسرته سادات تغلب ورؤساؤها وفرسانها.

حتى قيل :لو أبطأ الإسلام لأكلت تغلب الناس.

وتغلب أرض قوم عمرو بن كلثوم، وكانوا يسكنون الجزيرة الفراتية وما حولها، وتخضع قبيلة تغلب لنفوذ الحيرة - إمارة عربية أقامها الفرس على حدود الجزيرة العربية، وحموها بالسلاح والجنود - مع استقلالهم التام فى شؤونهم الخاصة والعامة -

وعمرو بن كلثوم أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم وأشرافهم، ومن أصحاب المعلقات، ومكانته فى الشعر الجاهلى تضارع مكانة كثير من الشعراء.

أما مكانة عمرو بن كلثوم فى الشجاعة والبطولة والفروسية فقل أن يصل إلى ما وصل إليه أحد، وأما الحسب والنسب والشرف فى قبائل العرب فهو فى الصفوة.

*** نشأته**

ولد عمرو بن كلثوم بين مجد وحسب وجاه وسلطان، فنشأ شجاعا هماما

خطيبا جامعا لخصال الخير والسؤدد والشرف، ثم ساد قومه وأخذ مكان أبيه فى مقتل العمر، وقال الشعر وأجاد فيه.

*** شجاعته**

قاد عمرو بن كلثوم الجيوش وحارب أعداء قومه، وكان مظفرا فى كثير من أيامهم وحروبهم ، **وكانت أكثر حروب تغلب مع أختها بكر بن وائل** بسبب حرب البسوس التى دامت أربعين عاما بسبب ناقة حتى أصلح بينهما المنذر ملك الحيرة، وأخذ من كل منهما رهينة من الغلمان مائة غلام من أشرافهم حتى لا يعودوا إلى القتال.

ولما تولى الحيرة عمرو بن هند عام ٥٦٢ميلادية حذا حذو أبيه، فحدث أن عمرو بن هند وجه قوما من بكر ومن تغلب إلى جبل طىء فى أمر من أموره فنزلوا على ماء لبنى شيبان وهم من بكر، فأبعدوا التغلبيين عن الماء حتى ماتوا عطشا

وقيل: أصابتهم سموم فى بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون فطلب التغلبيون دياتهم من بكر، واختصموا وتحاكموا إلى عمرو بن هند **وكان سيد تغلب عمرو بن كلثوم، وشاعر بكر هو الحارث بن حلزة فتفاخرت القبيلتان بين يديه، وفى هذا الموقف قال الحارث بن حلزة معلقة يفتخر فيها ببكر وقال عمرو بن كلثوم بعض معلقته يفتخر فيها بتغلب.**

وحكم عمرو بن هند لبكر على تغلب وحسداً لعمرو بن كلثوم صاحب الشرف والحسب والمجد.

*** بين عمرو بن هند وعمرو بن كلثوم.**

كان عمرو بن هند جبارا متكبرا مستبدا، وكان ينقم على عمرو بن كلثوم ويريد اذلاله واهانته ويضمر له ذلك فى نفسه، وذات يوم كان عمرو بن هند

جالسا مع ندمائه فقال:

ـ هل تعلمون أحدا من العرب تأنف أمه من خدمةأمى هند؟

فقالوا:

ـ نعم أم عمرو بن كلثوم.

قال عمرو بن هند:

ـ ولم؟

قالوا

ـ لأن أباها الزير سالم بن ربيعة، وعمها كليب بن ربيعة بن وائل أعز العرب، وبعلها كلثوم بن مالك أفرس العرب، وابنها عمرو سيد قومه.

وكانت هند أم عمرو بن هند هي عمة امرىء القيس بن حجر الكندى، وكانت أم ليلى بن الزير سالم هي بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التى هى أم امرىء القيس وبينهما هذا النسب.

فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره ـ يسأله أن يزوره ـ ويسأله أن تزور أمه، فأقبل عمرو بن كلثوم من الجزيرة إلى الحيرة فى جماعة من بنى تغلب ومعه أمه بنت الزير سالم بن ربيعة.

وأمر عمرو بن هند برواقه فضرب ما بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا مع وجوه بنى تغلب، فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند فى رواقه، ودخلت ليلى وهند فى قبة من جانب الرواق.

وكان عمرو بن هند قد أمر أمه أن تنحى الخدم اذا دعا بالطرف وتستخدم ليلى، فدعا عمرو بن هند بمائدة ثم دعا بطرف، فقالت هند:

ـ ناولبنى يا ليلى ذلك الطبق.

فقالت ليلى بنت الزير سالم:

ـ لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها.

فأعادت عليها هند مقالتها.

فصاحت ليلى:

ـ واذلاه، يا لتغلب.

فسمعها عمرو بن كلثوم، فثار الدم فى وجهه فوثب إلى سيف عمرو بن هند المعلق فى الرواق فضرب به رأس عمرو بن هند وقتله وكان ذلك سنة ٥٦٩هـ ميلادية.

ونادى عمرو بن كلثوم فى بنى تغلب فانتبهوا ما فى الرواق وساقوا نجائبه ـ الإبل الكريمة الأصيلة ـ وساروا نحو الجزيرة.

وجاشت نفس عمرو بن كلثوم وأخذته العزة والأنفة والنخرة فنظم بعض معلقته فى هذه الحادثة يصف فيها حديثه مع عمرو بن هند ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة.

وهكذا عاش عظيما من عظماء الجاهلية وأشرافهم وفرسانهم عزيز النفس مرهوب الجانب.

يقول عمرو بن كلثوم:

وقد علم القبائل من معد	إذا قُبَب بأبطحها بنينا
بأنا المطعمون إذا قدرنا	وأنا المهلكون إذا ابتلينا
وأنا المانعون لما أردنا	وأنا النازلون بحيث شينا
وأنا التاركون إذا سخطنا	وأنا الآخذون إذا رضينا
وأنا العاصمون إذا أطعنا	وأنا العازمون إذا عُصينا
ونشرب إن وردنا الماء صفواً	ويشرب غيرنا كدرا وطينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها	ونبطش حين نبطش قادرينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا	ونحن البحر نملؤه سفينا
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما	تخر له الجبابرة ساجدينا

وبعد أن افتخر عمرو بن كلثوم فى معلقته وهى احدى المعلقات السبع التى تمتاز بالرقة والسلاسة وفيها مبالغة واضحة وشديدة فى الفخر.

عاد عمرو بن كلثوم يهدد عمرو بن هند ويتوعده وينذره فى أسلوب قوى جذل مع عذوبة وجمال فيقول عمرو بن كلثوم:

أبا هند فلا تعجل علينـــا   وانظرنا نخبرك اليقيـــنا

بأنا نورد الرايات بيضـــا   ونصدرهن حمرا قد روينا

ورثنا المجد قد علمت معد   نطاعن دونه حتى يبينـــا

وقيل عن المعلقة:

لو وضعت أشعار العرب فى كفة وقصيدة عمرو بن كلثوم فى كفة لمالت بأكثرها.

*** المعلقة فى سوق عكاظ:**

وقف عمرو بن كلثوم فى سوق عكاظ فأنشدها فى موسم الحج، فكان بنو تغلب يعظمونها ويرويها صغارهم وكبارهم، لما حوته من الفخر والحماسة مع جزالتها وسهولة حفظها.

فالمعلقة من جديد شعر العرب، ويمتاز شعر عمرو بن كلثوم بالبديهة والارتجال وبأسلوبه الرصين وأغراضه العالية.

والمعلقة مشهورة بالرقة والسلاسة والسهولة وفيها مبالغة واضحة وشديدة فى الفخر مما لم يؤلف له نظير فى الشعر الجاهلى.

*** وفاته:**

عمر الشاعر والفارس عمرو بن كلثوم **قرابة قرن من الزمن** من سنة ٥٠٠ - ٦٠٠ ميلادية.

ولما حضره الموت جمع بنيه وقال:

- يا بنى قد بلغت من العمر مالم يبلغه أحد من آبائى، ولابد أن ينزل بى ما نزل بهم من الموت وإنى والله ما عيرت أحدا بشىء إلا عيرت بمثله إن كان حقا فحقا، وإن كان باطلا فباطلا، من سب سب، فكفوا عن الشتم إنه أسلم لكم وأحسنوا

جواركم يحسن ثناؤكم، وامنعوا من ضيم الغريب، فرب رجل خير من ألف، ورد خير من خلف، وإذا حدثتم فعوا، وإذا حدثتم فأوجزوا فإن مع الإكثار يكون الإهذار وأشجع القوم العطوف ـ الكرار على عدوه ـ بعد الكرة وخير الموت تحت ظلال السيوف، وموت عاجل خير من مرض ملازم آجل، وما بكيت من زمان إلا دهانى بعده زمان، وربما أحزننى من لم يكن أمره عنانى وما عجبت من أحدوثة إلا رأيت بعدها أعجوبة.

أبعدوا بيوت النساء من بيوت الرجال، فإنه أغض للبصر وأعف للبشر، ومتى كانت المعاينة واللقاء ففى ذلك داء من الأدواء، ولا خير فيمن لا يغار لغيره، كما يغار لنفسه، وقل من انتهك حرمة لغيره، إلا انتهكت حرمته.

عبد المطلب بن هاشم

من أعظم الشخصيات لا فى تاريخ العرب فحسب بل فى تاريخ الإنسانية جمعاء، فهو الدوحة الكريمة التى تفرعت عنها شخصيات عديدة من أبطال الإسلام وعظمائه، ويكفيه فخرا أنه جد خاتم النبيين ﷺ، وكذلك جد أول فدائى فى الإسلام على بن أبى طالب.

وكان عبد المطلب خلال ظلمات الجاهلية كعبة لكل مظلوم أو مغلوب على أمره.

وكان أبوه هاشم من أشرف قريش وأوسعهم ثراء، كان إذا أقبل الحجاج إلى بيت الله الحرام وقف خطيبا فى قومه يستحثهم على خدمة الحجاج وإطعامهم،كما كان هاشم أول من سن رحلتى قريش ﴿ **رحلة الشتاء والصيف**﴾ [سورة قريش الآية: ٢]

وتزوج هاشم امرأة من يثرب هى سلمى بنت عمرو بن عدى بن النجار، فوضعت غلاما غزير الشعر ناعما حالك السواد تتخله خصلة صغيرة ناصعة البياض **فسمته شيبة، وسماه أبوه عبد المطلب.**

ومات هاشم أثناء رحلة تجارية فى مدينة غزة، ولم تتزوج سلمى بنت عمرو على الرغم من شبابها وجمالها وحسبها ونسبها، إنما كرست كل ذلك لترعى ابنها الحبيب عبد المطلب أو شيبة، **وكانت أمه تحدثه دائما عن أبيه هاشم سيد قريش.**

*** السقاية والرفادة.**

عظم شأن عبد المطلب بن هاشم فى قريش وآل إليه ما كان لأبيه من مال فقد كان من أعظم وأكبر تجار قريش، ،وآل إليه ما كان لمن قبله من بنى عبد مناف من أمر السقاية والرفادة، ومكنته شخصيته القوية من أن يصبح أشرف رجال قومه وأعظمهم وأرفعهم مكانة.

*** عبد المطلب وحفر زمزم**

بينما كان عبد المطلب يحفر زمزم غلبته ومنعته قريش من حفرها وعيرته بقلة

الأولاد فلم يكن معه سوى ابنه الحارث، ونذر عبد المطلب لله تعالى إذا رزقه عشرة أولاد ليذبحن أحدهم وفاء بالنذر.

ورزقه الرزاق المنان بعشرة أبناء وكان **عبد الله أصغر أبنائه وأحبهم إليه، ووقع عليه الذبح ولكن افتداه بمائة من الإبل بعد أن حق ووجب النذر وكان من صلب عبد الله الذبيح سيد هذه الأمة والمبعوث للناس كافة ﷺ .**

*** أبناء عبد المطلب**

رزق الله عبد المطلب عشرة من الأبناء هم: عبد مناف ـ أبو طالب ـ ، العباس ـ أبو الفضل ـ ، حمزة ـ أبو عمارة ـ ، الزبير ، الحارث، حجل، المقدام، عبد العزى ـ أبو الهب ـ .

أما البنات فست: صفية، عاتكة، أميمة، أروى، برة، أم حكيم البيضاء.

*** عبد المطلب يزوج عبد الله**

نجا عبد الله بن عبد المطلب فتى بنى هاشم من الذبح لحكمة يعلمها العليم الخبير، وتهافتت فتيات قريش على عبد الله بن عبد المطلب الذى كان فى الثامنة من عمره، وكل منهن تطمع فى الزواج منه وتقول لنفسها:

ـ أريد أن أحظى بهذا النور الذى يشع من وجهك يا عبد الله.

ولما علم سيد قريش بملاحقة الفتيات لابنه عبد الله انطلق إلى وهب بن عبد مناف بن زهرة وكان وهب سيد بنى زهرة وخطب آمنة بنت وهب لابنه عبد الله

وتزوج عبد الله آمنة.

ومر عبد الله بالفتيات اللاتى كن يتهافتن عليه فأعرضن عنه فقال لرقيقة بنت نوفل وهى تحول بصرها عنه نحو الكعبة:

ـ مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت على بالأمس؟

فقالت رقيقة بنت نوفل :

ـ فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك حاجة

وأعرضت عن الذبيح المفتدى فاطمة بنت مرة وقالت:

ـ قد كان فى وجهك نور فأردت أن يكون لى فأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد ثم قالت:

لله ما زهرية سلبت　　　منك الذى استلبت وما تدرى

*** أبرهة وسيد قريش.**

عندما اقترب ولادة خاتم النبيين ﷺ طارت الأخبار إلى مكة بأن ابرهة الأشرم فى طريقه إلى أم القرى **ليهدم بيت الله الحرام**، وأن معه جيشا لجبا من الأحباش وأهل اليمن **يتقدمهم فيل عظيم** فساد مكة الذعر والهلع، فعلى الرغم من شجاعة العرب إلا أنهم لا عهد لهم بتلك الأفيال التى لا تؤثر فيها سيوف ولا رماح.

وهرب أناس كثير من أهل مكة إلى الجبال والشعاب هربا من الخطر.

وذهب عبد المطلب إلى بيت ابنه عبد الله فنصح زوجته آمنة بنت وهب بالخروج إلى يثرب حتى لا يلحقها الأذى، ولكن سيدة بنى زهرة قالت:

ـ إننى أريد أن أضع مولودى على مقربة من الكعبة، وأنا واثقة أن الله سيحقق لى هذه الأمنية.

*** أبرهة على مقربة من مكة.**

لما وصل جيش أبرهة على مقربة من مكة بعث أبرهة كوكبة من فرسانه عليهم الأسود بن مقصود إلى مراعى مكة فساقوا إبل ومواشى أهلها وأصابوا فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم، فثار أهل مكة واجتمع عدد كبير من قريش وهذيل وكنانة وقرروا محاربة أبرهة حتى ولو هلكوا عن آخرهم ، وفى هذه الأثناء أقبل رسول أبرهة حناطة الحميرى فسأل عن زعيم قريش فدلوه على عبد المطلب فقال حناطة الحميرى:

ـ إن أبرهة يقول لكم: إنه لم يأت لحربكم إنما جاء لهدم البيت، فإن لم تحولوا بينه وبين ذلك فلا حاجة له بدمائكم، وإن كنتم لا تريدون حرب أبرهة فهو يريد

مقابلة شيخ قريش .

قال عبد المطلب لأهل مكة:

ـ والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فان يمنعه فهو بيته وحرمه،وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع عنه.

وذهب عبد المطلب مع رسول أبرهة .

وكان عبد المطلب رجلا جليلا وسيما مهيبا أجمل الناس وأعظمهم ، فلما دخل على أبرهة ورآه أجله وأكرمه ونزل عن سريره إليه وجلس معه على بساطه وأجلس عبد المطلب بجانبه وقال لترجمانه:

ـ قل له: ما حاجتك ؟

فقال شيخ قريش لترجمان أبرهة:

ـ حاجتى أن يرد على مائتى بعير أصابها لى .

فقال أبرهة لترجمانه:

ـ قل له: قد كنت أعجبتنى حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتنى، أتكلمنى فى إبلك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه؟

قال عبد المطلب:

ـ أنا صاحب الإبل، أما البيت فله رب يمنعه ويحميه.

فقال أبرهة:

ـ ما كان ليمنع منى

وأمر أبرهة برد مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم

فأخذها عبد المطلب وجعلها هديا للكعبة.

*** عبد المطلب يدعو رب الكعبة.**

أخبر عبد المطلب أشراف قريش أنه حذر أبرهة من المصير الرهيب الذى ينتظره جيشه إن أقدم على هدم البيت الحرام ولكن أبرهة قرر أن يهدم الكعبة

ليتحول الناس إلى القليس التى بناها فى صنعاء اليمن وأنفق عليها مالا طائلا، وأمر عبد المطلب أهل مكة بالخروج معه والتحرز والتحصن فى رؤوس الجبال خوفا من جيش أبرهة. . ثم وقف أمام الكعبة وقال

يا رب لا أرجو لهم سواكا — يـــارب فامنع عنهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا — امنعهم أن يخـــربوا قراكـــا

*** رب البيت يحمى بيته**

لما وجه جنود أبرهة الفيل العظيم نحو الكعبة برك وألقى نفسه على الأرض وفشلت كل المحاولات لكى ينهض الفيل ليهدم الكعبة، وإذا وجهوه نحو الشرق أو اليمن قام وهرول.

وعندما ترك الجنود الفيل وتقدموا نحو الكعبة ليهدموها أرسل العزيز الحكيم عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل وجعلهم كعصف مأكول. . فانهزموا وولوا هاربين، وأصابت أبرهة الأشرم حجر فحمل إلى صنعاء بعد أن تهرأ جسده وراحت أنامله تتساقط أنملة بعد أنملة وتجرع سكرات العذاب ألوانا قبل أن تزهق روحه الخبيثة الشريرة إلى سجين.

وبعد هزيمة جيش أبرهة عظمت جميع القبائل قريشا وقالوا:

- إن الله سبحانه وتعالى حمى بيته وحارب عنهم.

وأقبلوا يقبلون رأس عبد المطلب بن هاشم الذى لم يتزعزع إيمانه لحظة فى أن الله عز وجل سيمنع بيته وبيت خليله ويحميه.

*** رؤيا عبد المطلب**

قام عبد المطلب بن هاشم من نومه فقال:

- لقد رأيت كأن سلسلة من الفضة خرجت من ظهرى لها طرف فى الأرض وطرف فى السماء وظهرت هذه السلسلة بعد قليل كأنها شجرة وعلى كل ورقة منها نور، وتعلق بها الناس....

وقبل أن يكمل عبد المطلب روياه جاءه رجل فقال:

ولدت آمنة بنت وهب مولود ماذا نسميه؟

فقال شيخ قريش دون تردد:

ـ سموه محمدا، ليحمده من فى الأرض ومن فى السماء.

*** وفاة عبد المطلب**

حمل عبد المطلب حفيده محمدا ـ ﷺ ـ وانطلق به إلى الكعبة وراح يدعو الله عز وجل ويشكره على ما أعطاه.

وكان عبد المطلب يكلأ محمدا ـ ﷺ ـ ويشمله برعايته فقد كان على يقين أن سيكون له شأن فقد لقى حبرا قرأ التوراة وهو فى صنعاء فقال له:

ـ أتأذن لى أن أنظر فى بعضك؟

فقال عبد المطلب:

ـ نعم ما لم يكن عورة

ففتح الحبر احدى منخرى عبد المطلب فنظر فيها ثم نظر فى الأخرى وقال:

ـ أنا أشهد أن فى احدى يديك ملكا وفى الأخرى نبوة.

وكان عبد المطلب يحنو على محمد ـ ﷺ ـ حنوا عظيما فيجلسه بجانبه ويقول:

ـ دعوا ابنى فوالله إن له شأنا.

وأخبرت آمنة بنت وهب عبد المطلب بأن هاتفا قال لها:

ـ إنك حملت بسيد البشر.

كما أخبرته بطبيعة الحال بالنور الذى خرج منها ورأت على هديه قصور بصرى بالشام.

كل ذلك جعل عبد المطلب يعظم أمر حفيده ابن الذبيح المفتدى.

ومرض عبد المطلب بن هاشم، ولما اشتد عليه المرض ترك حفيده لابنه أبى

طالب **فقد كان يعلم مدى حب وحنو عبد مناف على ابن خيه عبد الله.**

ومات عبد المطلب فى مكة فى العام التاسع من وقعة الفيل، أى العام ٤٥ قبل الهجرة.

وقد كان عبد المطلب يومئذ ابن ثمانين عاما.

وقيل مات عن مائة وعشرين عاما.

زيد الخيل

*** نسبه**

هو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب.

*** كنيته**

أبو مكتف الطائى.

فارس من قبيلة طىء.

قبيلة الشعراء والفرسان.

وزيد فارس قبيلة طىء المعلم العملاق، وشاعرها المجيد المقل .

*** لماذا أضيف الخيل إلى اسمه؟**

كان لزيد بن مهلهل خمس أفراس.

وكان زيد شغوفا بالخيل وكثيرا ما اجتمع لديه منها، وكان لا يقنى الخيل إلا الفارس الموسر.

*** صفته**

كان زيد الخيل طويلا عملاقا تخط رجلاه الأرض إذا ركب فرسه، فكان **منظره يروع ويلقي الرعب فى قلوب الفرسان قبل أن ينالوه.**

*** بطولته وفروسيته:**

كان عامر بن الطفيل أحد فرسان العرب المشهورين، وقد أغار على بنى فزارة ذات يوم فسبى امرأة يقال لها هند، واستاق عامر بن الطفيل نعما كثيرة.

وخرج زيد الخيل إلى بنى بدر فى ذلك اليوم وهم بطن من فزارة يطلب له نعما عندهم فقالوا:

ـ ما كنا قط إلى نعمك أحوج منا اليوم.

وأخبوه بما فعل عامر بن الطفيل بهم.

فانطلق زيد بن مهلهل فى أثر عامر بن الطفيل يبحث عنه، فأدركه وهو يسوق النعم مطمئنا، ولما وقع بصر عامر بن الطفيل على زيد الخيل أدهشه طوله الفارغ وضخامته، فبرز إليه زيد بن مهلهل وناداه:

ـ خل عن الظعينة ـ المرأة التى فى الهودج وهى هند ـ والنعم.

فسأله عامر بن الطفيل :

ـ من أنت؟

قال زيد الخيل:

ـ فزارى أنا.

قال عامر بن الطفيل:

ـ والله ما أنت من القلح ـ أى صفر الأسنان ـ أفواها ـ يريد بهم بنى فزارة ـ

فقال زيد بن مهلهل:

ـ خل عنها.

قال عامر بن الطفيل:

ـ لا أوتخبرنى من أنت.

قال زيد الخيل:

ـ أسدى

قال عامر بن الطفيل:

ـ لا والله ما أنت من المتكورين على ظهور الخيل فأصدقنى.

قال زيد بن مهلهل:

ـ أنا زيد الخيل

قال عامر بن الطفيل:

ـ صدقت فما تريد من قتالى؟ فوالله لئن قتلتنى لتطلبنك بنو عامر، ولتذهبن بنو

فزارة بالذكر.

واستأسر له عامر بن الطفيل، فجز زيد بن مهلهل ناصيته، وأخذ رمحه، ورد هندًا والنعم إلى بنى بدر.

ورجع عامر بن الطفيل إلى قومه ـ بنى عامر وبنى سليم ـ مجزوزا وأخبرهم بما وقع له، فغضبوا وقالوا:

ـ لا ترأسنا أبدا.

وخرجوا عن قيادته لهم، ثم تجهزوا ليغيروا على بنى طىء وجعلوا عليهم **علمقة بن علاثة فنافس عامر بن الطفيل الرياسة.**

فبعث عامر بن الطفيل إلى زيد بن مهلهل يخبره أن بنى عامر قد خرجوا لغزو طىء.

فجمع زيد الخيل قومه وتربص لبنى عامر فى مضيق جبلين، حتى إذا أقبلوا قابلهم بالحجارة والنبل كالجراد المنتشر ثم باغتهم وقاتلهم فأسر منهم جماعة وهرب الباقون.

وكان من بين الأسارى الحطيئة وكعب بن زهير ـ من الشعراء المعدودين ـ وامتدح الحطيئة زيد بن مهلهل، وأعطى كعب بن زهير فرسه الكميث لزيد الخيل فخلى سبيلهما.

واستبقى زيد بن مهلهل بقية بنى عامر فى الأسر.

ولما طال أسر بنى عامر سألوا زيد بن مهلهل أن يقبل الفداء ويطلق سراحهم فقال لهم زيد الخيل:

ـ الأمر إلى عامر بن الطفيل.

يريد بذلك أن يعيد مكانته عندهم ويعود رأس بنى عامر فرفضوا

لكنهم اضطروا أخيرا إلى أن يهبهم لعامر بن الطفيل الذى أطلق سراحهم واستعاد مكانته لديهم.

*** زيد بن مهلهل شديد العصبية ليمنيته.**

كان زيد الخيل شديد العصبية ليمنيته، وكان كثير الغزوات للعدنانية، وقد

خص زيد بن مهلهل بنى أسد بأكثر غاراته وأعنفها.

وكانت طىء تخضع لشروط زيد بن مهلهل لأنها تعلم أنها تعود معه ظافرة غانمة.

وذات يوم غزت بنو نبهان ومعهم زيد بن مهلهل قبيلة بنى فزارة فاقتتلوا قتالا شديدا، فانهزمت فزارة وساقت بنو نبهان الغنائم، ولكن فزارة حشدت فرسانها واستعانت بأحياء من قيس وفيهم رجل من سليم شديد البأس يقال له عباس بن أنس، نزل ضيفا على فزارة، فأغاروا على نبهان ولم تكن الرياسة حينئذ لزيد بن مهلهل.

فامتنع زيد الخيل عن القتال ووقف ينظر إلى المعركة، فثقلت الوطأة على بنى نبهان، وأثخنت فيهم فزارة، فلما رأى زيد بن مهلهل ما حل بقومه ناداهم:

- يا بنى نبهان أحمل ولى المرباع - ربع الغنيمة من حق رئيس القبيلة -؟

قالوا:

- نعم.

فشد زيدبم مهلهل على بنى سليم فهزمهم وأسر أم الأسود امرأة عباس بن أنس.

ثم حمل زيد الخيل على بنى فزارة ومن معهم فبدد شملهم.

*** زيد بن مهلهل يكره الحرب الأهلية.**

كان زيد الخيل يكره لقومه بنى نبهان أن يتحاربوا فيفنى بعضهم بعضا.

وكان ينصح أبناءه أن لا يدخلوا تلك الحرب التى تفتك بين بطون القبيلة الواحدة .

قال زيد بن مهلهل لابنيه: مكتف وحريث يوم اليحاميم يوم تنازعت بطون بنى نبهان:

- أى بنى أبقيا على قوميكما فإن اليوم يوم التفانى، فإن يكون هؤلاء أعماما

فهؤلاء أخوال.

واضطر زيد بن مهلهل أن يبتعد عن بنى نبهان يوما حين يئس من الاصلاح بينهم، ونزل زيد الخيل على بنى تميم، ولكن لما خرجت بنو تميم لغزو البكريين بقيادة قيس بن عاصم خرج زيد بن مهلهل معهم، واقتتلت القبائل، وزيد الخيل واقف ينظر، **فلما رأى كفة بنى بكر قد رجحت وأوشك التميميون أن ينهزموا عز عليه أن لا ينجدهم، فحمل على البكريين يضرب بسيفه ويطعن برمحه فيطيح بالرقاب ويشق الصدور ولا يتكنى بكنيته حتى لا يعرفوه فيثير عداء بين قبيلته وبينهم.**

ولما انتصر بنو تميم رفض قيس بن عاصم أن يعطيه نصيبه من الغنيمة فغضب زيد بن مهلهل وخرج عنهم.

وعندما عرف بنو عجل - وهم بطن من قبيلة بكر - أن زيد بن مهلهل هو سبب هزيمتهم أغاروا على بنى نبهان وأخذوا نعمهم انتقاما منهم .

ولما بلغ زيد الخيل ما حل لبنى نبهان انطلق فى فوارس بنى نبهان فقاتل بنى عجل واستنقذ بعض ما كان بأيديهم .

ولكن زيد الخيل لم يرجع إلى منازله خجلا من أنه لم يستطع أن يعود بكل النعم، فأغار على قبيلة تيم الله من قبيلة النمر بن قاسط أقرباء البكريين فغنم وسبى ورجع إلى بنى نبهان وهو يقول:

إذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا عركنا بتيم الله بنى عجل

*** زيد الخير**

قدم على مدينة رسول الله ﷺ وفد طىء وفيهم زيد الخيل سيدهم فى العام التاسع من الهجرة، فلما انتهوا إلى السراج المنير ﷺ كلموه وعرض عليهم نبى الرحمة ﷺ الإسلام وقرأ عليهم القرآن فأسلموا وحسن إسلامهم.

ونظر أبو القاسم ﷺ إلى زيد الخيل وقال:

- ما وصف أحد فى الجاهلية فرأيته فى الإسلام إلا رأيته دون الصفة غيرك

وقال صاحب الخلق العظيم ﷺ :

ـ ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءنى إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فانه لم يبلغ كل الذى فيه.

ثم أسماه إمام الخير ﷺ :

ـ زيد الخير

وقطع له ﷺ فيدا ـ موضع بشرقى سلمى أحد جبلى طىء ـ وأرضين معه، وكتب له بذلك.

*** زيد الخير يصاب بحمى المدينة.**

خرج زيد الخير من عند المبعوث للناس كافة ﷺ راجعا إلى نبهان فقال الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ :

ـ أن ينج زيد من حمى المدينة – أم ملدم ـ فانه يثبته .

ولما انتهى زيد الخير إلى نجد وورد ماء من مياهه أصابته الحمى، فلما أحس بالموت قال:

أمرتحل قومى المشارق غدوة وأترك فى بيت بفردة منجد.

ألا رب يوم لو مرضت لعادنى عوائد من لم يبر منهن يجهد

*** وفاته**

مات زيد الخير مسلما

ولما مات عمدت امرأته لجهلها وقلة عقلها ودينها إلى ما كان معه من الكتب فحرقتها.

ولما بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب إلى اليمن ـ عقب حجة الوداع **ـ بعث أبو الحسن من اليمن بذهبية فى تربتها فقسمها رسول ﷺ بين أربعة:زيد الخيل ، وعلقمة بن علاثة، والأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر.**

الحارث بن جبلة

من أشهر ملوك غسان وأعلاهم همة وأبعدهم صوتا، وكان من شجعان العرب المعدودين، وله من أيام العرب يومان: يوم عين أباغ، ويوم حليمة.

*** المواجهة مع ملك العرب بالحيرة**

سار المنذر بن ماء السماء ـ هو المنذر الثالث بن امرىء القيس، وماء السماء أمه، وهو أشهر ملوك الحيرة وأكثرهم غزوا وفتحا ـ ملك العرب بالحيرة فى معد كلها حتى نزل بعين أباغ، فأرسل إلى الحارث بن جبلة ملك العرب بالشام وقال له:

ـ إما أن تعطينى الفدية فأنصرف عنك بجنودى وإما أن تأذن بحرب.

فأرسل إليه الحارث بن جبلة:

ـ أنظرنا ننظر فى أمرنا

فجمع عساكره وسار نحو المنذر وأرسل إليه يقول:

ـ إنا شيخان فلا تهلك جنودى وجنودك، ولكن يخرج رجل من ولدى ورجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر وإذا فنى أولادنا خرجت أنا إليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك.

فوافق المنذر بن ماء السماء **وتعاهدا على ذلك.**

*** المكيدة**

عمد المنذر بن ماء السماء إلى رجل من شجعان أصحابه وأمره أن يخرج فيقف بين الصفين ويظهر أنه ابن المنذر، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرب فلما رأى الرجل رجع أبو كرب إلى أبيه وقال له:

ـ إن هذا ليس بابن المنذر إنما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه

فقال الحارث بن جبلة:

ـ يا بنى أجزعت من الموت؟ ما كان الشيخ ليغدر

فعاد أبو كرب إلى الرجل فقاتله فقتله الفارس وألقى برأسه بين يدى المنذر بن ماء السماء.

وعاد فأمر الحارث بن جبلة ابنا له آخر بقتال الفارس والطلب بثأر أخيه، فخرج إليه ابنه الثانى، فلما واقف الفارس رجع إلى أبيه وقال:

ـ يا أبت هذا والله عبد المنذر

فقال الحارث بن جبلة:

ـ يا بنى ما كان الشيخ ليغدر

فعاد ابن الحارث بن جبلة إلى الفارس فشد عليه وقتله.

فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفى وكان مع المنذر بن ماء السماء ـ كانت أم شمر بن عمرو غسانية ـ

قال للمنذر بن ماء السماء:

ـ أيها الملك إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام، ولقد غدرت بابن عمك دفعتين.

فغضب المنذر بن ماء السماء وأمر بإخراجه.

فلحق شمر بن عمرو الحنفى بعسكر الحارث بن جبلة وأخبره، فقال الحارث ابن جبلة:

ـ سل حاجتك

فقال شمر بن عمرو:

ـ حلتك وخُلتك ـ الخلة: الصداقة ـ

فلما كان الغد حرض الحارث بن جبلة أصحابة، وكان فى أربعين ألفا

فاصطفوا للقتال، واقتتلوا قتالا شديداً، ولقى الحارث بن جبلة المنذر بن ماء السماء فقتله، وهُزمت جيوشه وأمر الحارث بن جبلة بابنيه القتيلين فحملا على بعير، وسار فى الحيرة فنهبها وأحرقها ودفن ابنيه بها.

* **يوم حليمة**

لما تولى المنذر بن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة بعد مقتل أبيه يوم عين أباغ واستقر فى ملكه، سار إلى الحارث بن جبلة طالبا بثأر أبيه عنده وبعث إليه:

ـ إنى قد أعددت لك الكهول على الفحول ـ الكهول: جمع كهل وهو من كانت سنه فوق الثلاثين حتى الخمسين، والفحول: الذكور من كل حيوان ـ

فأجابه الحارث بن جبلة:

ـ وأنا قد أعددت لك المرد على الجرد ـ المرد: جمع أمرد وهو الشاب لم تنبت لحيته، والجرد: جمع أجرد وهو الفرس السباق ـ

وسار المنذر بن المنذر حتى نزل بمرج حليمة، وسار إليه الحارث بن جبلة

والتقى الجمعان واشتبكوا فى قتال شديد، ومكثت الحرب أياما ينتصف بعضهم من بعض، فلما رأى ذلك الحارث بن جبلة قعد فى قصره **ودعا ابنته حليمة وكانت من أجمل النساء فأعطاها طيبا وأمرها أن تطيب من مر بها من جنده**

فجعلوا يمرون بها وتطيبهم، ثم نادى الحارث بن جبلة:

ـ يافتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتى

فقال لبيد بن عمرو الغسانى لأبيه:

ـ يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة أو مقتول دونه لا محالة ولست أرضى فرسى فأعطنى فرسك .

فأعطاه فرسه، فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شد لبيد بن عمرو الغسانى على المنذر بن المنذر فضربه ثم ألقاه على فرسه، فانهزم أصحاب المنذر بن المنذر فى كل وجه.

ونزل لبيد بن عمرو عن فرسه فحز رأس المنذر بن المنذر وأقبل به على الحارث ابن جبلة وهو على قصره ينظر إليهم فألقى الرأس بين يديه.

فقال له الحارث بن جبلة:

ـ شأنك بابنة عمك ـ أى حليمة ـ فقد زوجتكها

فقال لبيد بن عمرو:

ـ بل أنصرف فأواسى أصحابى بنفسى، فإذا انصرف الناس انصرفت

ورجع لبيد بن عمرو فصادف أخا للمنذر بن المنذر وقد رجع إليه الناس وهو يقاتل وقد اشتدث نكايته، **فتقدم لبيد بن عمرو فقاتل حتى قتل.**

وانصرفت غسان ظافرة بعد أن أسروا كثيرا ممن كانوا مع المنذر بن المنذر، وكان من الأسرى مائة من بنى تميم فيهم شأس بن عبده، ولما سمع أخوه علقمة ـ علقمة: لقب بالفحل لأنه غلب امرأ القيس فى الشعر وتزوج أمه ـ الفحل وفد إليه مستشفعا وأنشده قصيدة قال فيها:

إلى الحدث الوهاب أعملت ناقتى ... لكلكلها والعقريين وجيب
لتبلغنى دار امرىء كان نائيا ... فقد قربتنى من نداك قروب
إليك أبيت اللعنة كان وجيفها ... بمشتبهات هو لهن مهيب
تجود بنفس لا يُجاد بمثلها ... وأنت بها يوم اللقاء خصيب
وفى كل حى قد خبطت بنعمة ... فحق لشأس من نداك ذنوب
فلا تحرمنى نائلا عن جنابة ... فإنى امرؤ وسط القباب غريب

الكلكل: الصدر.
العقريان: ضلعان.
الوجيب: الخفقان.
القروب: اسم ناقة علقمة الفحل.
الوجيف: نوع من سير الإبل.
المشتبهات: الطرق الغامضة.
مهيب: يهاب الناس اقتحامه.
خصيب: كريم لا يضن بنفسه.
ذنوب: نصيب

النائل: إطلاق شأس.

الجنابة: البعد والغربة والمعنى: لا تحرمنى بعد غربة.

ولما بلغ إلى قوله... فحق لشأس من نداك ذنوب

قال الملك الحارث بن جبلة:

ـ إى والله وأذنبة

ثم أمر بإطلاق شأس، وقال له:

ـ إن شئت الحباء، وان شئت أسراء قومك

وكان الحارث بن جبلة قال لجلسائه:

ـ إن اختار الحباء على قومه فلا خير فيه

فقال شأس بن عبده:

ـ أيها الملك ما كنت لأختار على قومى شيئا

فأطلق له الحارث بن جبلة الأسرى من تميم وكساه جبة وحباه، وكذلك فعل مع جميع الأسرى وزودهم زادا كثيرا، فلما بلغوا ديارهم أعطوا جميع ذلك لشأس ابن عبده وقالوا له:

ـ أنت كنت السبب فى اطلاق سراحنا فاستعن بذلك على دهرك

فحصل له كثير من إبل وكسوة وغير ذلك.

*** وفاته:**

توفى الحارث بن جبلة سنة ٥٥٦ ميلادية

وهو الذى سهل لامرىء القيس بن حجر طريق الوصول إلى قيصر الروم.

قيس بن زهير

*** نسبه**

هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسى

كان سيد بنى عبس

*** لقبه**

كان قيس بن زهير يلقب بقيس الرأى لجودة رأيه

*** فطنته وحكمته**

مر قيس بن زهير ببلاد غطفان فرأى ثروة عظيمة فكره ذلك فقال له الربيع بن زياد:

- إنه يسوءك ما يسر الناس

فقال قيس بن زهير:

- يا ابن أخى إنك لا تدرى إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل، وإن مع القلة التعاضد والتحابب والتناصر

وكان يقول:

- أربعة لا يطاقون: عبد ملك، ونَذْل شبع، وأمة - جارية - ورثت، وقبيحة تزوجت

*** داحس والغبراء**

سار قيس بن زهير إلى يثرب ليتجهز لقتال بنى عامر ويأخذ بثأر أبيه الذى قتله خالد بن جعفر الكلابى العامرى، فأتى أحيحة بن الجلاح - سيد الأوس فى الجاهلية - يشترى منه درعا موصوفة، فرآها الربيع بن زياد **فأعجبته**، ولبسها بعد أن أراه إياها قيس بن زهير فكانت فى طوله

فمنعها الربيع بن زياد من قيس بن زهير ولم يعطه إياها، وترددت الرسل بينهما فى ذلك، **ولج قيس بن زهير فى طلبها**، ولج الربيع بن زياد **فى منعها**،

فلما طالت الأيام على ذلك سير قيس بن زهير أهله إلى مكة، وأقام ينتظر الربيع ابن زياد الذى قام بدوره بتسيير إبله وأمواله إلى مرعى كثير الكلأ.

ولما بلغ الخبر قيس بن زهير بن جذيمة العبسى سار فى أهله وأخوته فعارض ظعائن - جمع ظعينة المرأة فى الهودج - الربيع بن زياد، فوجد فيها أم الربيع بن زياد - فاطمة بنت الخرشب الأنمارية - فاقتاد جملها يريد أن يرتهنها بالدرع الذى عند ولدها.

ولكن فاطمة بنت الخرشب الأنمارية قالت:

- ضل حلمك يا قيس أترجو أن تصطلح أنت وبنو زياد وقد أخذت أمهم

فعرف قيس بن زهير ما قالت فخلى سبيلها، وأطرد الإبل وسار بها إلى مكة **فباعها لعبد الله بن جدعان القرشى - من أشراف وأجواد العرب فى الجاهلية - واشترى بها خيلا**، وتبعه الربيع بن زياد فلم يلحقه.

وكان مما اشترى قيس بن زهير من الخيل **داحس والغبراء**، ثم أقام قيس بن زهير بمكة، فكان أهلها يفاخرونه، وكان فخورا فقال لهم:

- نحوا كعبتكم عنا وحرمكم، وهاتوا ما شئتم

فقال عبد الله بن جدعان:

- إذا لم نفاخرك بالبيت المعمور والحرم الأمين فبم نفاخرك؟

فمل قيس مفاخرتم

وعزم قيس بن زهير على الرحيل فلحق بنى بدر بن فزارة لأنهم أكفاء قومه فى الحسب وبنو عمهم فى النسب، ومن الأشراف فى الكرم، فأجاره حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر، فأقام فيهم، وكان معه أفراس له ولاخوته لم يكن فى العرب مثلها، وكان حذيفة بن بدر يغدو ويروح إلى قيس بن زهير فينظر إلى خيله **فيحسده عليها، ويكتم ذلك فى نفسه**، وأقام فيهم قيس بن زهير زمانا يكرمونه واخوته.

فلما علم الربيع بن زياد بذلك غضب وطلب من بنى بدر - بطن من فزارة،

وهى إحدى قبائل ذبيان ـ أن يردوا على قيس بن زهير واخوته جوارهم، ولكن بنى بدر رفضوا ذلك.

*** الرهان**

زار الورد العبسى ـ يقال إنه والد عروة بن الورد ـ حذيفة بن بدر فعرض عليه حذيفة خيله، فقال الورد العبسى:

ـ هل أرى فيها جواداً مبرّاً ـ المبر: الغالب ـ؟

فقال حذيفة بن بدر:

ـ فعند من الجواد المبر؟

قال الورد العبسى:

ـ عند قيس بن زهير

فقال حذيفة بن بدر:

ـ هل لك أن تراهنى عليه؟

قال الورد العبسى:

ـ نعم.. قد فعلت

فراهنه على ذكر من خيله وأنثى، ثم جاء الورد العبسى قيس بن زهير وقال:

ـ إنى قد راهنت على فرسين من خيلك وأوجبت الرهان

فقال قيس بن زهير:

ـ ما أبالى من راهنت غير حذيفة

فقال الورد العبسى:

ـ ما راهنت غيره

وركب قيس بن زهير حتى أتى حذيفة بن بدر وطلب منه عدم إتمام الرهان، ولكن حذيفة بن بدر رفض إلا أن يتم الرهان، فأذعن قيس لذلك، ووضعا السبق ـ

الحرز الذى يوضع فى الرهان فمن سبق أخذه ـ على يد أحد بنى ثعلبة بن سعد، وأجرى قيس داحسا والغبراء، وأجرى حذيفة فرسيه الخطار والحنفاء

*** الخديعة**

أقام حذيفة بن بدر رجلا من بنى أسد ـ كان بنو أسد حلفاء لذبيان قوم حذيفة ـ فى الطريق، **وأمره أن يلقى داحسا ويرده فى الطريق إن جاء سابقا**، فلما أرسلت **الخيل سبقها داحس سبقا بينا والناس ينظرون**، فلما هبط داحس فى الوادى عارضه الأسدى فلطم وجهه **فألقاه فى الماء فكاد يغرق هو وراكبه**، ولم يخرج إلا وقد فاتته الخيل، وأما راكب الغبراء **فإنه خالف طريق داحس لما رآه قد أبطأ**، ثم عاد إلى **الطريق واجتمع مع فرسى حذيفة بن بدر، ثم سقطت الحنفاء وبقى الخطار والغبراء، ثم أن الغبراء جاءت سابقة، وتبعها الخطار ثم الحنفاء ثم داحس**

فأنكر حذيفة ذلك وادعى السبق ظلما وقال:

ـ جاء فرساى متتاليين

ومضى قيس بن زهير وأصحابه فرأوا الأسدى وقد جاء نادما على ما اقترفت يداه فى حق داحس واعترف لقيس بن زهير بما صنع وأن الذى أمره بذلك هو حذيفة بن بدر.

فرجع قيس بن زهير وأصحابه إلى حذيفة وأصحابه وقال:

ـ يا قوم إنه لا يأتى قوم إلى قومهم شرا من الظلم فأعطونا حقنا.

فأبى بنو فزارة أن يعطوهم شيئا، وكان السباق المتراهن عليه عشرين من الإبل، فقال بنو عبس:

ـ اعطونا بعض سبقنا

فأبوا بنو فزارة.

فقال بنو عبس:

ـ أعطونا جزورا ـ جملا ـ ننحرها ونطعمها أهل الماء فانا نكره القالة فى

فقال رجل من فزارة:

ـ مائة جزور وجزور واحدة سواء، والله ما كنا لنقر لكم بالسبق علينا، ولم نسبق.

فقام رجل من بنى مازن بن فزارة فقال:

ـ يا قوم إن قيساً كان كارها لأول هذا الرهان وقد أحسن فى آخره، وإن الظلم لا ينتهى إلا إلى شر فأعطوه جزورا من نعمكم.

فأبوا، فقام الرجل المازنى إلى جزور من إبله فعقلها ـ ربطها ـ ليعطيها قيس ابن زهير ويرضيه، فقام ابنه فقال:

ـ إنك لكثير الخطأ، أتريد أن تخالف قومك وتلحق بهم خزية بما ليس عليهم؟

ثم أطلق الغلام عقال الجزور فلحقت بالنعم

فلما رأى ذلك قيس بن زهير احتمل عنهم هو ومن معه من بنى عبس

*** حذيفة بن بدر يلج فى ظلمه**

أرسل حذيفة بن بدر إلى قيس بن زهير ابنه ندبة ـ أبا قرفة ـ يطالبه بالسبق فلم يصادفه، فقالت له امرأته:

ـ ما أحب أنك صادفت قيسا

فرجع أبو قرفة إلى أبيه حذيفة بن بدر وأخبره بما قالت امرأة قيس بن زهير، فقال حذيفة بن بدر:

ـ والله لتعودن إليه

ورجع قيس بن زهير فأخبرته امرأته الخبر، فأنزعج قيس بن زهير من ذلك، ولم يلبث طويلا حتى رجع ندبة بن حذيفة إليه قائلا:

ـ يقول أبى: أعطنى سبقى

فتناول قيس بن زهير الرمح فطعن أبا قرفة بن حذيفة فدق صلبه ونادى قيس ابن زهير:

ـ يا بنى عبس الرحيل

فرحلوا جميعهم

وعادت فرس أبى قرفة عائرة ـ عار الفرس: ذهب على وجهه وتباعد عن صاحبه ـ فعلم حذيفة أن ابنه قتل فصاح فى الناس، وركب فيمن معه حتى أتى منازل عبس فرآها خالية ورأى ابنه قتيلا فنزل إليه وقبله بين عينيه ثم دفنه قومه

وإجتمع الناس فاحتملوا دية ندبة بن حذيفة مائة من الإبل عشراء ـ قيل: إن الربيع بن زياد حمل الدية مائة من الإبل قبضها حذيفة بن بدر وسكن الناس ـ

*** مقتل مالك بن زهير بن جذيمة العبسى**

كان مالك بن زهير أخو قيس بن زهير متزوجا فى فزارة، وهو نازل فيهم، فأرسل إليه أخوه قيس:

ـ إنى قتلت ندبة بن حذيفة ورحلت فالحق بنا وإلا قتلت

فلم يجبه مالك بن زهير وقال:

ـ إنما ذنب قيس عليه

وعاد حذيفة بن بدر فدس لمالك بن زهير من يقتله، فانطلق القوم وقتلوه

*** الربيع بن زياد**

أرسل قيس بن زهير إلى الربيع بن زياد يطلب منه العودة إليه والمقام معه إذ هم عشيرة وأهل، فلم يجبه الربيع ولم يمنعه، وظل مفكرا فى ذلك.

ولما بلغ عبسا مقتل مالك بن زهير جزعت عليه، وقال بنو مالك بن زهير لحذيفة بن بدر:

ـ رد علينا مالنا

فأشار سنان بن أبى حارثة على حذيفة ألا يرد أولاد الإبل معها، وأن يرد

المائة - الإبل العشراء - بأعيانها، فأبوا أن يقبلوا ذلك.

وعلم الربيع بن زياد بمقتل مالك بن زهير فجزع عليه، وأرسل إلى قيس بن زهير عينا - حامل الخبر، أو الجاسوس - يأتى بالخبر فسمعه يقول:

أينجو بنو بدر بمقتل مالك	ويخذلنا فى النائبات ربيع
وكان زياد مثله يتقى به	من الدهر إن يوم ألم فظيع
فقل لربيع يحتذى فعل شيخه	وما الناس إلا حافظ ومضيع
وإلا فما لى فى البلاد إقامة	وأمر بنى بدر على جميع

فرجع العين إلى الربيع بن زياد وأخبره بما قال قيس بن زهير، فبكى الربيع بن زياد على مالك بن زهير، وأنشد الربيع بن زياد شعرا رثى فيه مالك بن زهير، **فعلم قيس بن زهير بما قال الربيع بن زياد فصفت النفوس، وركب قيس وأهله وقصدوا الربيع بن زياد.**

*** الحرب**

نزل قيس بن زهير إلى الربيع بن زياد، **وقام الربيع فاعتنقا وبكيا** وأظهرا الجزع لمصاب مالك بن زهير، ولقى القوم بعضهم بعضا فنزلوا، فقال قيس بن زهير للربيع بن زياد:

- إنه لم يهرب منك من لجأ إليك، ولم يسغن عنك من استعان بك وقد كان لك شر يومى، فليكن لى خير يومك، وإنما أنا بقومى وقومى بى وقد أصاب القوم مالكا ولست أهم بسوء، لأنى إن حاربت بنى بدر نصرتهم بنو ذبيان، وإن حاربتنى بنو بدر خذلتنى بنو عبس، إلا أن تجمعهم على، وأنا والقوم فى الدماء سواء، قتلت ابنهم وقتلوا أخى، فإن نصرتنى طمعت فيهم وأن خذلتنى طمعوا فى

فقال الربيع بن زياد:

- يا قيس إنه لا ينفعنى أن أرى لك من الفضل ما لا أراه لى، ولا ينفعك أن ترى ما لا أراه لك، وأنت ظالم ومظلوم ظلموك فى جوادك، وظلمتهم فى دمائهم، وقتلوا أخاك بابنهم فإن يبؤ الدم بالدم فعسى أن لا تكون هناك حرب.

وبلغ حذيفة بن بدر أن الربيع بن زياد وقيس بن زهير اتفقا، فشق ذلك عليه واستعد للحرب..

وتلاقى الجمعان.. واقتتلوا قتالا شديدا

وكانت الشوكة فى ذبيان، وقتل منهم عوف بن بدر

وقتل عنترة بن شداد ضمضما أبا الحصين المرى، والحارث بن بدر، وأسر الربيع بن زياد حذيفة بن بدر، وكان الحر بن الحارث العبسى قد نذر إن قدر على حذيفة أن يضربه بسيفه القاطع، ولكنهم منعوه من ذلك، ونهوه عن قتله، وحذروه عاقبة ذلك، فأبى إلا ضربه، ولكن السيف لم يفعل شيئا وبقى حذيفة بن بدر أسيرا.

*** الرهائن**

اجتمعت غطفان وسعوا فى الصلح على أن يهدروا دم ابن حذيفة بدم مالك ابن زهير ويعقلوا - يؤدوا ديته - عوف بن بدر، ويعطوا حذيفة بن بدر عن ضربته التى ضربها الحر بن الحارث العبسى مائتين من الإبل وأن يجعلوها عشارا كلها، على أن يهدر حذيفة دماء من قتل من قومه ذبيان فى الموقعة ويطلق من الأسر.

ولما رجع حذيفة بن بدر إلى قومه ندم على ذلك، فساءت مقالته فى بنى عبس وركب قيس بن زهير وعمارة بن زياد فمضيا إلى حذيفة وتحدثا معه، فأجابهما إلى الاتفاق، وأن يرد عليهما الإبل التى أخذعا منهما وكانت توالدت عنده، وبينما هم فى ذلك إذ جاءهم سنان بن أبى حارثة المرى فقبح رأى حذيفة ابن بدر فى الصلح وقال:

- ان كنت لابد فاعلا فأعطهم إبلا عجافا مكان إبلهم، واحبس أولادها

فوافق ذلك رأى حذيفة، وأبى قيس بن زهير وعمارة بن زياد ذلك

وخرج مالك بن بدر أخو حذيفة بن بدر يطلب إبلا له فرماه جندب أحد بنى رواحة - بنو رواحة: حى فى عبس - بسهم فقتله، ومن ثم أخذ الشر يعظم بين عبس وذبيان.

وهُزمت بنو عبس، وأتبعتهم بنو ذبيان، فأشار قيس بن زهير على الربيع بن زياد أن يماكروهم، وخاف إن قاتلوهم ألا يقوموا لهم وقال:

ـ إنهم ليسوا فى كل حين يتجمعون، وحذيفة لا يستنفر أحداً لاقتداره وغلوه، ولكن نعطيهم رهائن من أبنائنا فندفع حدهم عنا، فإنهم لن يقتلوا الولدان ولن يصلوا إلى ذلك منهم مع الذين نضعهم على أيديهم، وإن هم قتلوا الصبيان فهو أهون من قتل الآباء.

فقال الربيع بن زياد:

ـ إننى أرى مناجزتهم

ثم عاد فرضح لرأى قيس بن زهير، ووضعوا الرهائن عند سبيع بن عمرو ـ من بنى ثعلبة بن زيد بن ذبيان ـ وحين حضرت سبيع بن عمرو الوفاة طلب من ابنه مالك ألا يسلم الرهائن لحذيفة بن بدر، وإن لم يتمكن من ذلك فما عليه إلا أن يردهم إلى ذويهم بنى عبس

*** حذيفة بن بدر يقتل الرهائن**

لم يزل حذيفة بن بدر على مالك بن سبيع بن عمرو حتى دفع إليه الرهائن، **فصار حذيفة بن بدر كل يوم يحضر غلاما ويقتله**

ولما بلغ الخبر بنى عبس اشتروا السلاح وقرروا أن يدافعوا عن كرامتهم، وأن يذودوا عن أبنائهم، وخرج قيس بن زهير فى جماعة من عبس فلقوا ابنا لحذيفة بن بدر ومعه بعض فرسان بنى دبيان فقتلوهم

فجمع حذيفة بن بدر قومه وسار إلى عبس وهم على ماء يقال له عراعر فاقتتلوا، وكان النصر لبنى ذبيان، ثم جد حذيفة فى الحرب وكرهها أخوه حمل بن بدر الذى دعا إلى الصلح، ولكنه لم يجبه، بل جمع الجموع من أسد وذبيان وسائر بطون غطفان، وسار نحو عبس.

*** الرأى والمشورة عند قيس بن زهير**

لما بلغ بنى عبس أن جموع بنى أسد وذبيان وسائر غطفان ساروا إليهم تشاوروا فيما بينهم فقال قيس بن زهير:

ـ أطيعونى فوالله لئن لم تفعلوا لأتكئن على سيفى حتى يخرج من ظهرى.

قالوا:

ـ فانا نطيعك

فأمرهم فسرحوا الإبل الراعية والضعاف بليل، وهم يريدون أن يظعنوا ـ يرحلوا ـ من منزلهم ذلك.

ثم ارتحلوا فى الصبح، وقد مضى سوامهم وضعافهم ـ الإبل الراعية والضعاف ـ، فلما أصبحوا طلعت عليهم خيل ذبيان، فقال قيس بن زهير:

ـ خذوا غير طريق الإبل، فإنه لا حاجة للقوم أن يقعوا فى شوكتكم، ولا يريدون بكم فى أنفسكم شرا من ذهاب أموالكم.

فأخذوا طريقا آخر

ولما رأى حذيفة بن بدر الأثر قال:

ـ أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم؟

ثم اتبع المال

وسارت ظعن بنى عبس والمقاتلة من ورائهم، بينما تبع حذيفة بن بدر وبنو ذبيان الإبل، فلما أدركوها ردوا أولها عن آخرها، ولم يفلت منها شىء، وجعل الرجل منهم يطرد ما قدر عليه من الإبل، فيذهب بها.. ثم تفرقوا.

واشتد الحر فقال قيس بن زهير:

ـ يا قوم إن القوم قد فرق بينهم المغنم فاعطفوا ـ عطف: مال ـ الخيل فى آثارهم

فلم تشعر بنو ذبيان إلا وخيل بنى عبس دوائس ـ يتبع بعضها بعضا ـ

*** يوم الهباءة**

ركب الدهش والذعر بنى ذبيان فلم يقاتل أحد بنى عبس، إذ أن هم الرجل من بنى ذبيان كان أن يحرز غنيمة ويمضى بها.

ووضعت بنو عبس فى بنى ذبيان السلاح وقتلوا منهم مالك بن سبيع بن عمرو

التغلبى سيد غطفان وكثيرا غيره، حتى ناشدتهم بنو ذبيان أن يكفوا عن القتل.

وانهزمت ذبيان وحذيفة بن بدر معهم، ولم يكن لعبس هم غير حذيفة بن بدر، فأرسلوا خيلهم مجتهدين فى أثره، وقال لهم قيس بن زهير:

ـ كأنى بالقوم وردوا جفر الهباءة ـ مستنقع فى بلاد غطفان ـ ونزلوا فيه

وكان حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر وجماعة من أصحابهم قد نزعوا سروجهم وطرحوا سلاحهم، ونزلوا فى الماء وتمرغت دوابهم فيه

ولما اقترب منهم قيس بن زهير وأصحابه أبصرهم حمل بن بدر فقال لهم:

ـ من أبغض الناس أن يقف على رءوسكم؟

فقالوا:

ـ قيس بن زهير والربيع بن زياد

قال حمل بن بدر:

ـ هذا قيس بن زهير قد أتاكم..

ولم يتم كلامه حتى وقف قيس بن زهير وأصحابه وحالوا بينهم وبين الخيل، وحمل جنيدب على خيلهم فأطردها، وناداهم قيس بن زهير:

ـ كيف رأيتم عاقبة البغى؟

قال حذيفة بن بدر:

ـ يا بنى عبس فأين العقول والأحلام؟ ناشدتك الله والرحم يا قيس

فضربه أخوه حمل بن بدر بين كتفيه وقال:

ـ اتق مأثور كلام

فقال حذيفة بن بدر:

ـ بنو مالك بمالك، وبنو حمل بذى الصبية، ونرد السبق

قال قيس بن زهير:

ـ لبيكم . . لبيكم

قال حذيفة بن بدر:

ـ لئن قتلتنى لا تصطلح غطفان بعدها أبدا

فقال قيس بن زهير:

ـ أبعدها الله ولا أصلحها

فضرب قرداش بن عمرو حذيفة بن بدر بسيف فأرداه قتيلا

وهبر سيف الحارث بن زهير حمل بن بدر

وقيل:

إن الذى قتله حمل بن زياد هو الربيع بن زياد وكان ذلك يوم الهباءة.

*** ندم عبس**

ندمت عبس على ما فعلت بذبيان يوم الهباءة، ولام بعضهم بعضا

واجتمعت ذبيان إلى سنان بن حارثة المرى، وشكوا إليه ما نزل بهم فأعظمه وذم عبسا، وعزم على أن يجمع العرب ويأخذ بثأر ذبيان، وبث رسله فاجتمع من الخلق كثير لا يحصون، وساروا إلى بنى عبس، فلما بلغهم مسيرهم قال قيس بن زهير:

ـ الرأى أننا لا نلقاهم، وعلينا أن نرسل الظعائن والأموال إلى بنى عامر، فإن الدم لنا قبلهم، فهم لا يتعرضون لكم، ويبقى أولو القوة والجلد على ظهور الخيل، ونماطلهم القتال، فإن أبوا إلا القتال كنا قد أحرزنا أهلينا وأموالنا، وقاتلناهم وصبرنا لهم، فإن ظفرنا فهو الذى نريد، وإن كانت الأخرى نكون قد أمنا على أهلينا وأموالنا

ففعلوا ذلك

وسارت ذبيان ومن معها

واقتتلوا قتالا شديدا

فلما كان الغد عادوا إلى اللقاء فاقتتلوا قتالا أشد من اليوم الأول، وظهرت فى هذا اليوم شجاعة **عنترة بن شداد**، فلما رأى الناس شدة القتال، وكثرة القتلى لاموا سنان بن أبى حارثة على منعه حذيفة الصلح وتطيروا منه ـ تشاءموا منه كالفأل الردىء ـ، وأشاروا عليه بحقن الدماء، ومراجعة السلم فلم يفعل، وأراد مراجعة الحرب فى اليورم الثالث، فلما رأى فتور أصحابه وركونهم إلى السلم رحل عائدا.

فلما رجع سنان بن أبى حارثة عن عبس، رحل قيس بن زهير وبنو عبس إلى بنى شيبان وجاوروهم وبقوا معهم مدة، ثم رحلوا عنهم بعد أن اقتتلوا وانهزمت بنو شيبان

* النمر بن قاسط

سارت عبس إلى اليمامة يطلبون أخوالهم

وخرج قيس بن زهير حتى لحق بالنمر بن قاسط، وتزوج منهم وأقام بينهم زمنا، ثم أراد أن يتحول عنهم فنصحهم وأمرهم بخصال ونهاهم عن خصال فقال لهم:

ـ عليكم بالأناة فبها تدرك الحاجة، وإياكم والرهان فبه ثكلت ـ فقدت ـ مالكا أخى، والبغى فانه صرع زهيرا أبى، وإياكم والسرف فى الدماء، فإن قتل أهل الهباءة أورثنى العار، ولا تعطوا فى الفضول فتعجزوا عن الحقوق.

* وفاته

رحل قيس بن زهير إلى عمان

فأقام بها إلى أن مات.

ربيعة بن مكدم

كان ربيعة بن مكدم حامى الظعينة ـ المرأة فى الهودج ـ حيا وميتا، وهو أحد فرسان كنانة المعدودين، وشجعانهم المشهورين، وهو من قبيلة فراس بن غنم بن مالك بن كنانة، وكان بنو فراس أنجد العرب، كان الرجل منهم يعدل عشرة رجال من غيرهم وفيهم يقول أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه لأهل الكوفة:

ـ وددت والله لو أن لى بجمعكم وأنتم مائة ألف ثلاثمائة من بنى فراس

*** حامى الظعينة**

خرج دريد بن الصمة ـ كان سيد بنى جشم ورئيسهم وفارسهم ـ فى فوارس بنى جشم يريد الغارة على بنى كنانة، فلما كان بواد لبنى كنانة رفع له رجل من ناحية الوادى ومعه ظعينة، فلما نظر إليه قال لفارس من أصحابه:

ـ صح به أن خل عن الظعينة وانج بنفسك

وهو لا يعرف الرجل الذى يسير مع الظعينة

فلما انتهى الفارس إليه ألح عليه أن يخلى عن الظعينة وينجو بنفسه، فأبى وألقى زمام الراحلة وقال للظعينة:

سيرى على رسلك سير الآمن ... سير رداح ذات جأش ساكن

إن انثنائى دون قـرنـى شائنى ... أبلى بلائى واخبرى وعاينى

ثم حمل على الفارس فصرعه وأخذ فرسه

رداح: امرأة رداح: ضخمة الردف سمينة الأوراك.

فبعث دريد بن الصمة فارسا آخر وقال له:

ـ أنظر ما صنع صاحبك؟

فذهب الفارس **فوجد صاحبه صريعا،** فصاح بالرجل وقال له:

ـ خل عن الظعينة وانج بنفسك

فتصام عنه، فظن أنه لم يسمع فغشيه، وألقى زمام الراحلة إلى الظعينة، ثم حمل على الفارس فصرعه وهو يقول:

خل سبيل الحرة المنيعة إنك لاق دونها ربيعة

فى كفه خطية مطيعة أو لا فخذها طعنة سريعة

خطية: الرماح الخطية: تنسب إلى الخط مرفأ فى بلاد البحرين.

وبعث دريد بن الصمة فارسا آخر لينظر ما صنع صاحباه، فانتهى إليهما فرآهما صريعين، ونظر إلى ربيعة بن مكدم فإذا هو يقود ظعينته ويجر رمحه

فقال له الفارس:

ـ خل عن الظعينة وانج بنفسك

فقال ربيعة بن مكدم للظعينة:

ـ اقصدى قصد البيوت

ثم أقبل على الفارس فقال:

ماذا تريد من شتيم عابس ألم تر الفارس بعد الفارس

أرداهما عامل رمح يابس

ثم طعن ربيعة بن مكدم الفارس فصرعه وانكسر رمحه

الشتيم: الأسد العابس

ولما أبطأ الفارس الثالث على دريد بن الصمة ارتاب وظن أنهم قد أخذوا الظعينة وقتلوا الرجل فلحق بهم، فوجد ربيعة بن مكدم ورمحه قد انكسر، ورأى الفرسان الثلاثة قد قتلوا

فقال دريد بن الصمة لربيعة بن مكدم:

ـ أيها الفارس إن مثلك لا يقتل، وإن الخيل ثائرة بأصحابها، ولا أرى معك رمحا، وأراك حديث السن فدونك هذا الرمح، فإنى راجع إلى أصحابى فمثبطهم ـ

مثبط: معوق ـ عنك

وأتى دريد بن الصمة أصحابه فقال لهم:

ـ إن فارس الظعينة قد حماها، وقتل فرسانكم، وانتزع رمحى ولا طمع لكم فيه

فانصرف فرسان بنى جشم عن ربيعة بن مكدم

وأنشد دريد بن الصمة:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... حامى الظعينة فارسا لم يقتل

أردى فوارس لم يكونوا نهزة ... ثم استمر كأنه لم يفعل

متمهلا تبدو أسرة وجهه ... مثل الحسام جلته أيدى الصيقل

يزجى ظعينته ويسحب رمحه ... متوجها يمناه نحو المنزل

وترى الفوارس من فخامة رمحه ... مثل البغاث خشين وقع الأجدل

ياليت شعرى من أبوه وأمه؟ ... يا صاح من يك مثله لم يجهل

النهزة: الشيء الذى هو لك معرض كغنيمة

الصيقل: الصقال الذى يجلو السيف والجمع صياقل وصياقلة

البغاث: طائر أغبر

الأجذل: الصقر

فقال ربيعة بن مكدم:

إن كان ينفعك اليقين فسائلى ... عنى الظعينة يوم وادى الأحزم

إذ هى لأول من أتاها نهبة ... لولا طعان ربيعة بن مكدم

إذ قال لى أدنى الفوارس ميتة ... خل الظعينة طائعا لا تندم

فصرفت راحلة الظعينة نحوه ... عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم

وهتكت بالرمح الطويل إهابه ... فهوى صريعا لليدين وللفم

ومنحت آخر بعده جياشة ... نجلاء فاغرة كشدق الأضجم

ولقد شفعتهما بآخر ثالث ... وأبى الفرار لى الغداة تكرمى

إهابه: جلده

الأضجم: الضجم عوج فى الفم، ويشبه الجرح الواسع بالفم الأضجم، والضجم أيضا: الأكول

*** نزاع بين بنى سليم وبنى فراس**

وقع نزاع بين نفر من بنى سليم - بطن فى قيس عيلان وهم قوم دريد بن الصمة -، ونفر من بنى فراس بن مالك بن كنانة، فقتلت بنو فراس رجلين من بنى سليم

وخرج بنيشة بن حبيب السلمى غازيا، فلقى ظعنا من بنى كنانة بالكديد - موضع على اثنين وأربعين ميلا من مكة المكرمة - ومعهم قومهم من بنى فراس وفيهم عبد الله بن جذل الطعان، والحارث بن مكدم، وربيعة بن مكدم

فلما رآهم الحارث بن مكدم قال:

- هؤلاء بنو سليم يطلبون دماءهم

فقال ربيعة بن مكدم:

- أنا ذاهب حتى أعلم خبر القوم، فآتيكم بخبرهم

وتوجه ربيعة بن مكدم نحوهم، فلما تولى قال بعض الظعن:

- هرب ربيعة

فقالت أخته عزة بنت مكدم:

- أين تنتهى نقرة الفتى؟

فلما سمع ربيع بن مكدم قول النساء قال:

لقد علمن أننى غير فرق   لأطعنن طعنة وأعتنق

أصبحهم صاح بمحمر الحدق   عضبا حساما وسنانا يأتلق

الفرق: الخائف

الاعتناق فى الحرب مثل الاعتناق فى غيره

العضب: السيف

السنان: طرف الرمح

ثم انطلق ربيعة بن مكدم يعدو بفرسه فحمل عليه بعض بنى سليم، فاستطرد - تقهقر وكأنه يخدع - له فى طريق الظعن، فتبعه بنيشة فرماه، فلحق بالظعن يستدمى حتى انتهى ربيعة بن مكدم إلى أمه فقال:

- اجعلى على يدى عصابة

ثم ارتجز يقول:

شدى على العصب أم سيار   فقد رزيت فارسا كالدينار

يطعن بالرمح أمام الأدبار

فردت عليه أمه:

إنـــا بـــنو ثعلبة بن مالك   مـــرور أخبار لنا كذلـك

من بين مقتول وبين هالك   ولا يكون الرزء إلا ذلك

وشدت على ربيعة بن مكدم عصابة، فاستسقاها ماء، فقالت:

- إن شربت الماء مت

كر ربيعة بن مكدم راجعا على بنى سليم يسيل منه الدم حتى أثخن - ضعف من الجراحة -

فقال للظعن - جمع ظعينة -:

- أوضعن ركابكن - حثهن على السير السريع - حتى تنتهين إلى أدنى البيوت من الحى، فإنى لما بى سوف أقف دونكم لهم على العقبة، فأعتمد على رمحى، فلا يقدمون عليكن لمكانى

ففعلن الظعن ذلك

واعتمد ربيعة بن مكدم على رمحه، وهو واقف لهن على متن فرسه حتى بلغن مأمنهن

ولم يقدم بنو سليم عليهن

ورآه بنيشة بن حبيب فقال:

ـ إن ربيعة بن مكدم لمائل العنق وما أظنه إلا قد مات

وأمر رجلا من أصحابه أن يرمى فرس ربيعة بن مكدم بسهم، فرماها فقمصت ـ قمصت الفرس: إذا رفعت يديها وطرحتهما أرضا ـ فمال ربيعة بن مكدم عنها **فسقط على الأرض ميتا**

لقد حمى ربيعة بن مكدم الظعينة وهو حى وحماها وهو ميت

عند ذلك أدرك بنو سليم ما خطط له ربيعة بن مكدم، فألقوا عليه أحجاراً، وشدوا على الحارث بن مكدم فقتلوه

*** بنو مالك يأسرون دريد بن الصمة**

أغار بنو مالك بن كنانة رهط ربيعة بن مكدم على بنى جشم ورهط دريد بن الصمة فهزموهم وأسروا وغنموا **وكان من بين الأسارى دريد بن الصمة** الذى أخفى نسبه

وبينما دريد بن الصمة عند بنى مالك إذ جاء بعض النسوة يتهادين إليه فصرخت امرأة منهن ـ ريطة بنت جذل ـ وقالت:

ـ هلكتم وأهلكتم ماذا جر علينا قومنا؟ هذا والله الذى أعطى ربيعة بن مكدم رمحه يوم الظعينة

ثم ألقت على دريد بن الصمة ثوبها وقالت:

ـ يا آل فراس أنا جارة له منكم، هذا صاحبنا يوم الوادى

فسألوه عن اسمه ونسبه فقال:

ـ أنا دريد بن الصمة فمن صاحبى؟

قالوا:

ـ ربيعة بن مكدم

قال دريد بن الصمة:

- فما فعل؟

قالوا:

- قتله بنو سليم

قال دريد بن الصمة:

- فمن الظعينة التى كانت معه؟

قالت المرأة التى أجارته:

- ربطة بنت جذل وأنا هى

فتشاور بنو مالك..

ثم أطلقوا سراح دريد بن الصمة عرفانا منهم بجميله تجاه فارسهم وحامى ظعينتهم ربيعة بن مكدم.

عوف بن الأحوص

*** نسبه**

هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن عامر .

سيد بني عامر، وفارس من فرسان العرب المعدودين

*** يوم شعب جبلة**

خرج بنو عبس من ديارهم وعلى رأسهم الربيع بن زياد، وقيس بن زهير وبينما هم سائرون قال لهم الربيع بن زياد:

ـ أما والله لأرمين العرب بحجرها، اقصدوا بنى عامر.

وساروا حتى نزلوا مضيقا من وادى بنى عامر، ونزلوا على ربيعة بن شكل ابن كعب، وكان العقد من بنى عامر إلى كعب بن ربيعة، فقال ربيعة بن شكل:

ـ يا بنى عبس شأنكم جليل وثأركم عظيم، وأنا والله أعلم أن هذه الحرب أعز حرب، ما حاربتها العرب قط، ولابد من بنى كلاب فأمهلونى حتى أستطلع رأى قومى .

وخرج ربيعة بن شكل بن كعب من بنى كلاب حتى جازوا ـ جاز الموضع: سار فيه ـ بنى كلاب، فلقيهم عوف بن الأحوص، فحدثوه فى أمر بنى عبس، فقال:

ـ يا قوم أطيعونى فى هذا الطرف من غطفان، فأقطعوهم وأغنموهم، لا تفلح غطفان بعده أبدا، ووالله لا تزيدون على أن تسمنوهم وتمنعوهم، ثم يصيروا لقومكم أعداء.

فأبوا عليه، وانقلبوا حتى نزلوا على أبيه الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمر عبس، فقال الأحوص لربيعة بن شكل:

ـ أظللتهم ظلك وأطعمتهم طعامك؟

قال ربيعة بن شكل:

- نعم

قال الأحوص بن جعفر:

- والله أجرت القوم

ثم جاء الربيع بن زياد، وقيس بن زهير إلى الأحوص بن جعفر، وكان رجلا شيخا، فتقدم إليه قيس بن زهير وأخذ بمجامع ثوبه وقال:

- هذا مقام العائذ بك، قتلتم أبى فما أخذت له دية، ولا قتلت به أحدا،وقد أتيتك لتجيرنا

فقال الأحوص بن جعفر:

- نعم أنا لك جار مما أجير منه نفسى.

*** لقيط بن زرارة**

كان لقيط بن زرارة سيد بنى تميم قد عزم على غزو بنى عامر للأخذ بثأر أخيه معبد، وبينما هو يتجهز **أتاه الخبر بتحالف بنى عبس وبنى عامر**، وكان لقيط بن زرارة وجيها عند الملوك، فذهب إلى النعمان بن المنذر يستنجده وأطعمه فى الغنائم فأجابه، ثم ذهب إلى **الجون الكلبى ملك هجر** فقال له:

- هل لك فى قوم قد امتلأت الأرض بنعمهم ؟ فترسل معى ابنيك فما أصبنا من مال وسبى فلهما. وما أصبنا من دم فلى؟

فأجابه الجون الكلبى إلى ذلك ثم أرسل إلى كل من كان بينه وبين بنى عبس ثأر يسأله الحول والتظاهر على غزو عبس وعامر.

فاجتمع إلى لقيط بن زرارة بنوذبيان لعداوتهم لبنى عبس بسبب حرب داحس والغبراء، وبنو أسد لحلف كان بينهم وبين بنى ذبيان.

*** يوم رحرحان.**

لما كان رأس الحول - السنة - من يوم رحرحان انهلت الجيوش على لقيط بن

زرارة، فأقبل جيش الجون الكلبى وعليه ابناه عمرو ومعاوية، وأقبل جيش النعمان ابن المنذر وعليه أخوه لأمه حسان بن دبرة الكلبى، وأقبل الحليفان بنو أسد وذبيان وعليهم حصن بن حذيفة، وأقبل شرحبيل بن أخضر فى جمع من بنى كندة، وسار بنو تميم فى رءوسائهم حاجب بن زرارة ولقيط بن زرارة ، وعمرو بن عمرو، والحارث بن شهاب، ومعهم أحلافهم وتبعهم غثاء ـ الغثاء : ما يجىء فوق السيل مما يحمله من الزبد وورق الشجر البالى، يريد بذلك أراذل الناس ـ من الناس يريدون الغنيمة، وتم لهم جمع لم يكن قد جُمع أكثر منه، **فلم تشك العرب فى هلاك بنى عامر وبنى عبس.**

*** بنو عامر يستشيرون الأحوص**

لما سمعت بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفر الذى كان يدبر أمر الناس، **فقد كان مجربا حازما محمود** الرأى، فأخبروه الخبرفقال لبنى عامر:

ـ قد كبرت فما أستطيع أجىء بالحزم، ولكن إذا سمعت عرفت فأجمعوا آراءكم ثم بيتوا ليلتكم هذه، ثم اغدوا على فاعرضوا آراءكم.

فلما كان الغد عرضوا آراءهم فقال الأحوص:

ـ ما أسمع شيئا، ولكن الرأى أن تجمعوا أثقالكم وضعفاءكم ثم احْملوا ظعنكم، وانطلقوا حتى تعلوا فى اليمين، فإن أدرككم أحد كررتم عليه وإن أعجزتموهم مضيتم.

فسار بنو عامر حتى وادى نجار، ثم رئى الناس يرجع بعضهم على بعض فقال الأحوص بن جعفر:

ـ ما هذا؟

قيل:

ـ هذا عمرو بن عبد الله بن جعدة قدم فى فتيان من بنى عامريعدون بمن أجاز بهم.

فقال الأحوص بن جعفر:

ـ قدمونى

فقدموه حتى وقف عليهم فقال:

ـ ما هذا الذى تصنعون؟

قال عمرو بن عبد الله بن جعدة:

ـ أردت أن تفضحنا وتخرجنا من ديارنا هاربين ونحن أعز العرب وأكثر عددا وجلدا وأحد شوكة، تريد أن تجعلنا موالى فى العرب إذ خرجت بنا هاربا؟

قال الأحوص بن جعفر:

ـ فكيف أفعل وقد جاءنا مالا طاقة لنا به؟ فما الرأى؟

قال عمرو بن عبد الله بن جعدة:

ـ نرجع إلى شعب جبلة فنحرز النساء والظعن والذرارى والأموال فى رأسه ونكون فى وسطه ففيه الخصب والماء، فإن أقام من جاءوا أسفل أقاموا على غير ماء ولا مقام لهم وإن صعدوا علينا قاتلناهم من فوق رؤوسهم بالحجارة فكنا فى حرز وكانوا فى غير حرز، وكنا على قتالهم أقوى منهم.

فقال الأحوص بن جعفر:

ـ هذا والله الرأى.

ثم نادى فى الناس:

ـ ارجعوا

فرجعوا، ودخلوا شعب جبلة، وفعلوا ما طلب منهم عمرو بن عبد الله بن جعدة، ومنعوا الإبل عن الماء، ثم عمى عليهم الخبر، فجعلوا لا يعرفون قرب القوم عنهم أو بعدهم.

وأقبلت تميم وأسد وذبيان نحو جبلة، فلقوا فى طريقهم كرب بن صفوان السعدى ـ من أشراف القوم وساداتهم ـ فقالوا له:

ـ ما منعك أن تسير معنا فى غزاتنا؟

قالب كرب بن صفوان :

ـ أنا مشغول فى طلب إبل لى.

قالوا:

ـ لا بل تريد أن تنذر بنى عامر، ولا نتركك حتى تعطينا عهدا وموثقا ألا تفعل.

فحلف لهم.

ثم خرج عنهم وهو مغضب، ومضى مسرعا على فرس له عرى ـ لا سرج له ـ حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر، نزل تحت شجرة حيث يرونه فأرسلوا إليه ليأتيهم فقال لهم:

ـ لست فاعلا، ولكن إذا رحلت فاحضروا إلى منزلى فإن الخبر فيه .

فجاءوا منزل كرب بن صفوان السعدنى، فإذا تراب فى صرة ، وشوك قد كسر رءوسه، وفرق جهته، وإذا حنظلة ـ نبات شديد المرار ـ موضوعة، وإذا وطب ـ سقاء ـ معلق فيه لبن فقال الأحوص بن جعفر:

ـ هذا رجل قد أخذت عليه المواثيق ألا يتكلم وهو يخبركم أن القوم مثل التراب كثرة وشوكتهم قوية، وجاءتكم بنو مرة، انظروا ما فى الوطب فاصطبوه ـ أراقوه ـ

فإذا فيه لبن قارص ـ حامض ـ

ثم أردف الأحوص بن جعفر:

ـ إن القوم منكم على قدر حلاب اللبن إلى أن يحرز.

ثم دعا الأحوص بن جعفر قيس بن زهير العبسى وقال له:

ـ إنك تزعم أنه لم يعرض لك أمران إلا وجدت فى أحدهما الفرج.

قال قيس بن زهير:

ـ إذا رجعتم إلى رأيي فادخلوا نعمكم شعب جبلة، ثم أبعدوها عن الماء هذه

الأيام ، فإذا جاء القوم فان لقيط بن زرارة فيه طيش وسيقتحم الجبل، وحينئذ أخرجوا عليهم الإبل وانخسوها بالسيوف والرماح فتخرج مذعورة عطشى فتشغلهم وتفرق جمعهم فتخرجون فى آثارهم وتنالون منهم

فقال الأحوص بن جعفر:

ـ نعم ما رأيت.

وأخذوا برأى قيس بن زهير العبسى .

وعاد كرب بن صفوان فلقى لقيط بن زرارة فقال له:

ـ أأنذرت القوم؟

فأعاد كرب بن صفوان الحلف له أنه لم يكلم أحدًا منهم فخلى سبيله.

فقالت ابنة لقيط بن زرارة ـ دختنوس ـ:

ـ ردنى إلى أهلى ولا تعرضنى لعبس وعامر فقد أنذرهم لا محالة.

وكان لقيط بن زرارة يصحب ابنته دختنوس فى غزواته ويرجع إلى رأيها، فاستحمقها لما زعمت أن كرب بن صفوان قد أنذر بني عبس وبنى عامر وساءه كلامها فردها.

وبينما هم سائرون قابلهم غلام أعسر ـ الذي يعمل بيده الشمال خاصة ـ **فتشاءمت بنو أسد** وقال بعضهم لبعض:

ـ ارجعوا عنهم.

فرجعوا، ولم يسر مع لقيط بن زرارة من بنى أسد إلا نفر يسير.

*** هزيمة بنى تميم.**

لما وصل بنو تميم وأحلافهم إلى شعب جبلة حيث بنو عامر وعبس قال الناس للقيط بن زرارة :

ـ ما ترى ؟

قال لقيط بن زرارة:

ـ أرى أن تصعدوا إليهم.

فقال شاس بن أبى ليلى:

ـ لا تدخلوا على بنى عامر فإنى أعلم الناس بهم، قد قاتلتهم وقاتلونى وهزمتهم وهزمونى، فما رأيت قوما قط أقلق بمنزل من بنى عامر وسيخرجون إليكم، والله لئن نمتم هذه الليلة لا تشعرون بهم إلا وهم منحدرون عليكم.

قال لقيط بن زرارة وأصحابه مجترئين:

ـ اصعدوا إليهم.

فصعدوا إلى الجبل، وأخذوا فى الصعود فقالت بنو عامر للأحوص بن جعفر:

ـ قد أتوك.

فقال الأحوص:

ـ دعوهم حتى إذا وصلوا إلى نصف الجبل وانتشروا فيه

قال الأحوص:

ـ حلوا عقل الإبل ثم اتبعوا آثارهم، وليتبع كل رجل منكم بعيره حجرين أو ثلاثة.

ففعلوا، ثم صاحوا فخرجت الإبل كالطوفان تحطم كل شيء مرت به، وخبطت تميما ومن معها وانحطوا منهزمين فى الجبل حتى السهل، ولما بلغوا السهل لم يكن لأحد همة إلا أن يذهب علي وجهه، فجعلت بنو عامر تقتل فيهم وتصرعهم بالسيوف... فانهزموا شر هزيمة.

وجعل لقيط بن زرارة لا يمر به أحد من بنى تميم إلا قال:

ـ أنت والله قتلتنا.

ثم ركب لقيط بن زرارة فرسه وزج بنفسه فى المعركة فطعنه شريح بن

الأحوص فمات فى يومه.

*** الزهدمان.**

ولى حاجب بن زرارة منهزما فتبعه زهدم وقيس ابنا حزن العبسيان، وجعلا يطردانه ويقولان له:

- استأسر

وقد قدرا عليه فقال:

- من أنتما؟

قال زهدم وقيس ابنا حزن العبسيان:

- نحن الزهدمان

فقال حاجب بن زرارة:

- لا أستسر اليوم لموليين.

وبينما هم كذلك **إذا أدركهم مالك ذو الرقيبة العامرى** فقال لحاجب بن زرارة:

- استأسر

تساءل حاجب بن زرارة:

- ومن أنت؟

قال مالك:

- مالك ذو الرقيبة العامرى.

فقال حاجب بن زرارة:

- أفعل لعمرى

وألقى إليه رمحه

فمشى زهدم وقيس ابنا حزن العبسيان إلى قيس بن زهير فقالا:

ـ أخذ مالك أسيرنا من أيدينا.

فتساءل قيس بن زهير:

ـ ومن أسيركما؟

قال الزهدمان :

ـ حاجب بن زرارة.

فخرج قيس بن زهير حتى وقف على بنى عامر فقال:

ـ إن صاحبكم مالكا ذا الرقيبة أخذ حاجب بن زرارة من الزهدمين

فجاء مالك ذو الرقيبة فقال:

ـ لم آخذه منهما ولكنه استأسر لى وتركهما.

فلم يبرحوا حتى **حكموا حاجب بن زرارة فى ذلك** فسألوه ذلك:

ـ من أسرك؟

قال حاجب بن زرارة:

ـ أما من ردنى عن قصدى ومنعنى أن أنجو فالزهدمان، وأما الذى استأسرت له فمالك ذو الرقيبة.

*** بعد الهزيمة**

لما انهزم الناس خرجت بنو عامر وحلفاؤهم فى آثارهم يقتلون ويأسرون ويسلبون، فلحق قيس بن المنتفق ـ من بنى عامر ـ عمرو بن عمرو التميمى ـ زوج دختنوس بنت لقيط بن زرارة - فأسره.

فأقبل الحارث بن الأبرص فى سرعان ـ أوائل الخيل ـ فرآه عمرو مقبلا فقال لقيس ابن المنتفق:

ـ إن أدركنى الحارث بن الأبرص قتلنى، وما فاتك ما تلتمس عندي، فهل أنت محسن إلى وإلى نفسك؟

قال قيس بن المنتفق:

- كيف؟

قال عمرو بن عمرو:

- تجز ناصيتى فتجعلها فى كنانتك، ولك العهد لأفينَّ لك.

ففعل قيس بن المنتفق.

وأدركهما الحارث بن الأبرص فنادى قيسا:

- اقتل اقتل.

ولكن قيس بن المنتفق أطلق عمرو بن عمرو فلحق بقومه.

ونزل حسان بن الجون وصاح.

- يا آل كندة.

فحمل عليه شريح بن الأحوص فاعترض دون ابن الجون رجل من كندة فضربه شريح فى رأسه فانكسر السيف، وشد طفيل بن مالك فأسر حسان بن الجون، وشد عوف بن الأحوص علي معاوية بن الجون فأسره وجز ناصيته وأعتقه.

ولقى قيس بن زهير معاوية بن الجون فقتله.

فأتى عوف بن الأحرص بنى عبس فقال:

- قتلتم طليقى فأحيوه أو أريد ملكا مثله.

فتخوفت بنو عبس شره وكان مهيبا فقالوا:

- أمهلنا.

وانطلقوا حتى أتوا عامر بن مالك بن جعفر يستغيثونه علي عوف بن الأحوص فقال:

- دونكم سلمى بن مالك فانه نديمه وصديقه

وكان فى سلمى بن مالك حياء فقال:

ـ سأكلم لكم طفيل بن مالك أخاه ليسلم إليكم حسان بن الجون

وانطلقوا إليه.

فقال طفيل لسلمى بن مالك:

ـ قد أتونى بك ما أعرفني ما جئتم به: أتيتمونى تريدون منى حسان بن الجون وتسلمونه إلى عوف بن الأحوص خذوه.

فأعطاهم إياه، فأتوا عوف بن الأحوص فجز ناصية حسان بن الجون، وأعتقه **ولذلك سمى عوف بن الأحوص الجزاز.**

*** يوم ذى نجب**

خرج ناس من بنى عامر إلى حسان بن أبى كبشة الكندى ـ ملك من ملوك اليمن ـ منهم عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة، وطفيل بن مالك بن جعفر، وعمرو بن الأحوص بن جعفر، ويزيد بن الصعق، وقدامة بن سلمة، وعامر بن كعب، واستنجدوه على بنى حنظلة بن مالك ـ حى فى تميم ـ

وقالوا:

ـ هل لك فى إبل عكر ـ ما فوق خمسمائة من الإبل ـ ونساء كالبقر، وتسير مبردا ـ أى فى آخر النهار ـ وترجع سالما غانما من قوم قد أوقعنا بهم حديثا وقتلنا فرسانهم ورؤساءهم

فأقبل بصنائعه ومن كان معه، ومر على بنى عامر فسار معه من خف منهم

وبلغ الخبر بنى حنظلة بن مالك فقال عمرو بن عمرو بن عدس ـ من تيم ـ:

ـ يا بنى مالك إنه لا طاقة لكم بهذا الملك ومن معه فخفوا من مكانكم هذا.

وكانوا يومئذ فى أعلى الوادى مما يلى مجىء القوم، وكانت بنو يربوع فى أسفله.

واستطرد عمرو قائلا :

ـ دعوا بنى يربوع فانهم حي صرم نكد ـ منعزلون قليلو النفع ـ فان ظهر الملك سالمتم، فبقية السلم خير من بقية الحرب، وإن ظهرت يربوع عليهم كنتم مع اخوانكم.

ففعلوا

وأقبل الملك حسان بن أبى كبشة الكندى ومن معه من الجيش والتقوا ببنى يربوع فاقتتلوا فضرب حشيش بن نمران الرياحى الملك حسان بن كبشة الكندى على رأسه فقتله فانهزم أصحابه، وأسر ثعلبة بن الحارث اليربوعى يزيد بن الصعق، وانهزم طفيل بن مالك على فرسه قرزل وضرب زنباع بن الحارث أحد بنى رياح عبيدة بن مالك علي هامته فمات فى يده، وقتل خالد بن مالك النهشلي رئيس بني عامر، عمرو بن الأحوص وكان بعض أصحاب خالد بن مالك النهشلى قالوا له:

ـ اقتل عمرو بن الأحوص بأبيك ـ كان الأحوص قد قتل أبا خالد يوم جبلة ـ

زهير بن جناب الكلبى

*** نسبه**

كان زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذرة الكلبى أحد من اجتمعت عليه قضاعة.

وكان يدعى الكاهن لصحة رأيه وصواب تخمينه.

وكان من فرسان العرب المعدودين المشهود لهم بالشجاعة.

*** حربه مع غطفان.**

لما خرج بنو بغيض بن ريث بن غطفان من تهامة، ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صداء وهى قبيلة من مذحج فقاتلوهم ،وكان بنو بغيض سائرين بأهليهم وأموالهم فقاتلوهم عن نسائهم وأعراضهم، فظهروا عليهم وفتكوا بهم وعزت بغيض بذلك، فلما رأوا ذلك قالوا:

ـ والله لنتخذن حرما مثل الكعبة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه.

فبنوا حرما ووليه بنو مرة بن عوف ـ قرة بن عوف ـ فلما بلغ فعلهم وما أجمعوا عليه زهير بن جناب قال:

ـ والله لا يكون ذلك أبدًا وأنا حى ولا أجعل غطفان تتخذ حرما أبدا.

ونادى قومه فاجتمعوا إليه، فقام فيهم خطيبا فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم وقال:

ـ إن أعظم مأثرة ندخرها أنا وقومى أن نمنعهم من ذلك.

فأجابوه.

فغزا بهم غطفان، وقاتلهم أشد قتال، وفتك بهم وأصاب زهير بن جناب حاجته من غطفان، **وأخذ فارسا منهم فى حرمهم فقتله، وعطل هذا الحرم،** ثم من على غطفان فرد لهم النساء وأخذ الأموال وفى ذلك يقول:

فلم تصبر لنا غطفان لما	تلاقينا وأحرزت النساء
فلولا الفضل منا ما رجعتم	إلى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم ديونا فاطلبوها	وأوتارا ودونكم اللقاء
فإنا حيث لا يخفى عليكم	ليوث حين يحتضر اللواء
فقد أضحى لحى بنى جناب	فضاء الأرض والماء الرواء
نفينا نخوة الأعداء عنا	بأرماح أسنتها ظماء
ولولا صبرنا يوم التقينا	لقينا مثل ما لقيت صداء

الرواء: فضاء الأرض والماء الرقاء

*** حربه مع بكر وتغلب**

لما قدم أبرهة الأشرم نجد أتاه زهير بن جناب، فأكرمه أبرهة وفضله على من أتاه من العرب ثم أمره على بكر وتغلب، فوليهم زهير بن جناب حتى أصابهم سنة ـ السنة : القحط والجدب والشدة ـ فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج، فحاربهم زهير بن جناب ومنعهم من النجعة ـ طلب الكلأ ومساقط الغيث ـ حتى يؤدوا ما عليهم من خراج، فكادت مواشيهم أن تهلك

*** ابن زيابة**

لما رأى ابن زيابة ـ ابن ربابة ـ ذلك ، وكان أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وكان فاتكا، خرج وقد عزم أمرا، فأتى زهير بن جناب وهو نائم فاعتمد بالسيف على **بطن زهير بن جناب فمر فيها حتى خرج من ظهره مارقا بين الصفاق** ـ غشاء ما بين الجلد والأمعاء ـ **وسلمت أمعاؤه وما فى بطنه** وظن ابن زيابة التيمى أن زهير ابن جناب قد قتل، وعلم زهير بن جناب أنه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه فسكت.

وانصرف ابن زيابة التيمى إلى قومه وقال:

ـ لقد قتلت زهير بن جناب

فسرهم ذلك

*** الحيلة**

لم يكن مع زهير بن جناب إلا نفر قليل من قومه، فأمرهم أن يظهروا أنه ميت، وأن يستأذنوا بكرا وتغلب فى دفنه، فإذا أذنوا دفنوا ثيابا ملفوفة وساروا به مجدين إلى قومهم

ففعلوا ذلك.

وأذنت لهم بكر وتغلب فى دفنه ولم يمنعوهم فى ذلك، فحفروا وعمقوا **ودفنوا ثيابا ملفوفة لم يشك من رآها أن فيها ميتا.**

ثم ساروا إلى قومهم، فجمع لهم زهير بن جناب الجموع وبلغهم الخبر

فقال ابن زيابة:

طعنة ما طعنت فى غلس الليـــ ل زهيرا وقد توافى الخصوم
حين يحمى له المواسم بكر أين بكر وأين منها الحلوم
خاننى السيف إذ طعنت زهيرا وهو سيف مضلل مشؤوم

وجمع زهير من قدم عليه من أهل اليمن، وغزا بكرا وتغلب، وكانوا علموا بعدم موته فقاتلهم قتالا شديدا، وانهزمت بكر، وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت، وأسر كليب بن ربيعة وعدى بن ربيعة ـ المهلهل أو الزير سالم ـ، وأخذت الأموال وكثرت القتلى فى بنى تغلب، وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم.

فقال زهير بن جناب فى ذلك:

أين أين الفرار من حذر المو ت إذا يتقون بالأسلاب
إذ أسرنا مهلهلا وأخاه وابن عمرو فى القيد وابن شهاب
وسبينا من تغلب كل بيضا ء رقود الضحى برود الرضاب
حين تدعو مهلهلا يالبكر ها أهذى حفيظة الأحساب
ويحكم ويحكم أبيح حماكم يا بنى تغلب أنا ابن ضراب
وهم هاربون فى كل فج كشريد النعام فوق الروابى
واستدارت رحى المنايا عليهم بليوث من عامر وجناب
فهم بين هارب ليس يألو وقتيل معفر فى التراب
فضل العز عزنا حين نسمو مثل فضل السماء فوق السحاب

ليس يألو: لا يقصر ولا يبطئ

*** حربه مع بنى القَيْن**

كانت أخت لزهير بن جناب متزوجة فى بنى القين بن جسر، فجاء رسولها زهير بن جناب الكلبى ومعه صرة فيها رمل، وصرة فيها شوك

فقال زهير بن جناب:

ـ إنها تخبركم أنه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة فاحتملوا

فقال الجلاح بن عوف السحمى:

ـ لا نحتمل لقول امرأة

فظعن زهير بن جناب ـ ظعن: سار ـ، وأقام الجلاح

وصبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح، وذهبوا بأموالهم وماله

ومضى زهير بن جناب الكلبى فاجتمع مع عشيرته من بنى جناب، وبلغ الجيش خبره فقصدوه، فقاتلهم قتالا شديدا وصبر لهم **فهزمهم وقتل رئيسهم،** فانصرفوا عنه خائبين.

ونجا زهير بن جناب بفضل فطنته وبصيرته وشجاعته

أما الجلاح فهلك هو وقومه لأنه لم ير ما رآه زهير بن جناب الكلبى

*** زهير يستخلف ابن أخيه**

لما طال عمر زهير بن جناب وكبرت سنه، استخلف ابن أخيه عبد الله بن عُلَيم فقال زهير يوما:

ـ ألا إن الحى ظاعن ـ راحل ـ

فقال ابن أخيه عبد الله بن عُليم:

ـ ألا إن الحى مقيم

فقال زهير بن جناب:

ـ **من هذا المخالف على؟**

فقالوا:

ـ **ابن أخيك عبد الله بن عليم**

فقال زهير بن جناب:

ـ **أعدى الناس للمرء ابن أخيه**

ثم شرب زهير بن جناب **الخمر صرفا** حتى مات.

حنظلة بن ثعلبة

*** نسبه**

هو حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى

كان فارسا، وصاحب رأى

كان من سادات قومه، فهو من بنى عجل.

وهو صاحب قبة ضربت يوم ذى قار .

ولا تضرب هذه القبة إلا لملك أو سيد .

وله باع طويل فى معركة ذى قار

*** أسباب معركة ذى قار**

نشب خلاف بين النعمان بن المنذر وبين كسرى، وعلم النعمان أن كسرى يريد قتله فاستودع هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود **دروعا وغيرها.**

وبدأ الخلاف حيث قتل النعمان بن المنذر عدى بن يزيد ثم لقى ابنه زيداً فأكرمه واعتذر له عن قتل أبيه خطأ وقربه إليه ثم أرسله إلى كسرى ليكون فى ديوانه مكان أبيه عدى، فقبله كسرى وجعله مكان أبيه، فلما وقع عند كسرى بهذا الموقع سأله عن النعمان بن المنذر فأحسن عليه الثناء، فأعجب به كسرى، **وكانت للملوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، فكانوا يبعثون بها فى أرض فارس، فإذا وجدت حملت إلى كسرى، غير أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشىء من ذلك، ولا يريدونه، لما يعرفون من النخوة العربية، والكرامة والشرف عندهم،** وإن مثل هذه الأمور تسىء إليهم، ودخل زيد بن عدى يوما على كسرى فقال له:

ـ إنى رأيت الملك كتب فى نسوة يطلبن له، فقرأت الصفة فعرفت أين تجدها، لقد كنت بآل المنذر عالما، وعند عبدك النعمان ـ كان النعمان بن المنذر يعين من قبل كسرى ملك الفرس ـ من بناته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة.

ثم قال زيد بن عدى لكسرى:

ـ إن شر شيء فى العرب عامة وفى النعمان بن المنذر خاصة أنهم يتكرمون عن العجم، فأنا أكره أن يغيبهن عمن تبعث إليه، أو يعرض عليه غيرهن، وإن قدمت أنا عليه لن يقدر أن يغيبهن، فابعثنى وابعث معى رجلا من حرسك يفقه العربية، حتى أبلغ ما تحبه

وخرج زيد بن عدى إلى الحيرة ومعه حارس من حرس كسرى يفهم العربية، ثم دخلا على النعمان بن المنذر **وأخبراه بما جاءا به** فقال النعمان:

ـ أليس فى بلاد فارس من النساء من تحمل تلك الصفات حتى يطلبها من ملك الحيرة؟

فرد عليه زيد بن عدى قائلا:

ـ إنما أراد كرامتك، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به

فأنزل النعمان بن المنذر زيد بن عدى وحارس كسرى يومين ثم كتب إلى كسرى:

إن الذى طلبه الملك ليس عندى

ثم قال لزيد بن عدى:

ـ اعذرنى عنده

ولم يدر بخلد النعمان بن المنذر أن الذى دبر هذه المكيدة ونسج خيوطها هو زيد بن عدى لقد ظن النعمان بن المنذر أن باكرامه لزيد بن عدى وعطفه عليه والحاقه بديوان كسرى ما يجعله ينسى دم أبيه، واعتقد خطأ بأن زيد بن عدى أصبح من أقرب المقربين إليه، وأنه صار صوته لدى كسرى ولسانه.

ولما رجع زيد بن عدى إلى كسرى أوغر صدره على النعمان بن المنذر، وأيده فى ذلك الحارس الذى صحبه إلى الحيرة، بالإضافة إلى الكتاب الذى يحمله من النعمان بن المنذر ذاته إلى كسرى.

وبعد أن قرأ كسرى الكتاب سأل زيدا:

ـ أين الذى قد كنت خبرتنى به؟

قال زيد بن عدى:

ـ قد كنت أخبرتك بضنهم ـ الضن: البخل ـ بنسائهم على غيرهم، وأن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعرى على الشبع والرياش، واختيارهم السموم على طيب أرضك هذه حتى أنهم ليسمونها السجن، فسل هذا الرسول الذى كان معى عن الذى قال، فإنى أكرم الملك عن الذى قال فصعب على أن أقوله.

فالتفت كسرى إلى الحارس الذى كان مع زيد بن عدى فى تلك المهمة وسأله عما قال فأخبره قائلا:

ـ قال: أليس فى فارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا؟

فعرف الغضب فى وجه كسرى فقال:

ـ رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا فيصير أمره إلى الهلاك

وشاع هذا الكلام وبلغ النعمان بن المنذر

ولكن كسرى سكت عن ذلك شهورا، **أما النعمان فقد كان قلقا لهذا الصمت الذى يسبق العاصفة، فراح يستعد ويتوقع**.. حتى أتاه كتاب كسرى:

أن أقبل، فإن للملك إليك حاجة

فحمل النعمان بن المنذر سلاحه وما قوى عليه ثم لحق بجبلى طئ، وكانت فرعة بنت سعد بن حارثة زوجة له، وكذلك زينب بنت أوس بن حارثة، فأراد النعمان بن المنذر من طئ أن يدخلوه بين الجبلين ويمنعوه من أن تصل إليه يد كسرى، **ولكنهم رفضوا ذلك** وقالوا:

ـ لولا صهرك لقاتلناك، فإنه لا حاجة لنا فى معاداة كسرى، ولا طاقة لنا به

فأقبل النعمان بن المنذر حتى **نزل بذى قار فى بنى شيبان سرا**، فلقى هانىء ابن قبيصة بن مسعود الشيبانى وكان سيدا منيعا فاستودع عنده من الدروع وغيرها الكثير

*** مقتل النعمان بن المنذر**

وتوجه النعمان بن المنذر إلى كسرى، فلقى زيد بن عدى فقال للنعمان:

ـ انج نعيم ـ تصغير النعمان ـ إن استطعت

عندما سمع النعمان كلمة نعيم أى تصغير اسمه أدرك أن زيد بن عدى هو صاحب هذه المكيدة، وأنه هو الذى نسج خيوطها ليثأر لموت أبيه فقال النعمان بن المنذر:

ـ أنت يا زيد فعلت هذا، أما والله لئن انفلت لأفعلن بك ما فعلت بأبيك

فقال زيد بن عدى ساخرا:

ـ امض نعيم، فوالله لوحبكت لك المكيدة عند كسرى فلن تنجو منها

ولما بلغ كسرى أن النعمان بن المنذر بالباب **بعث إليه فقيده وأرسله إلى السجن حتى مات.**

*** كسرى يهدد بكر بن وائل**

لما مات النعمان بن المنذر استعمل كسرى مكانه **إياس بن قبيصة الطائى** على الحيرة وما كان عليه النعمان بن المنذر، وبعث كسرى إلى إياس بن قبيصة:

أن أحضر إلى تركة النعمان

فقال إياس بن قبيصة:

ـ قد أحرزها فى بكر بن وائل

فأمر كسرى إياس بن قبيصة أن يضم ما كان عند النعمان ويبعث به إليه

فبعث إياس بن قبيصة إلى هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود

أن أرسل إلى ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها وهى بين أربعمائة درع وثمانمائة درع

فأبى هانىء بن قبيصة أن يسلم الأمانة إلا لصاحبها، فغضب كسرى وأظهر أنه سيستأصل بكر بن وائل، وكان عنده يومئذ النعمان بن زرعة التغلبى وهو يحب هلاك بكر بن وائل لما بينهما من العداوة والثأر، فقال لكسرى:

ـ يا خير الملوك أدلك على غرة بكر؟ أمهلها حتى تقيظ ـ قاظ اليوم: اشتد حره ـ ، فإنهم إن قاظوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذوقار، تساقط الفراش فى النار، فأخذتهم كيف شئت وأنا أكفيكهم.

وأقر كسرى خطة النعمان بن زرعة التغلبى

وانتظر كسرى حتى قاظ بنو بكر بن وائل، فإذا ببكر تنزل إلى ذى قار وهى من ذى قار مسيرة ليلة، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة التغلبى فقال لهم:

ـ أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال: إما أن تعطوا ما بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء، وإما أن تعروا الديار ـ تتركوا الديار ـ، وإما أن تأذنوا بالحرب

فتشاوروا فيما بينهم وولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى، وكانوا يتيمنون به فقال:

ـ لا أرى إلا القتال لأنكم إذا أعطيتم ما بأيديكم قتلتم وسبيت ذراريكم، وإن هربتم قتلكم العطش وتلقاكم تيم فتهلككم

فآذنوا الملك بالحرب

فلما علم كسرى بما عزموا عليه، كتب إلى إياس بن قبيصة، وإلى الهامرز التسترى، وإلى جلابزين كما كتب إلى قيس بن مسعود ليوافوا بجيوشهم **إياس بن قبيصة وهو القائد عليهم.**

فلما دنت جيوش الفرس بمن معهم، انسل قيس بن مسعود ليلا فأتى هانىء ابن قبيصة وقال له:

ـ أعط قومك سلاح النعمان بن المنذر فيقووا، فإن هلكوا كان تبعا لأنفسهم، وكنت أخذت بالحزم، وإن ظفروا ردوه عليك.

فقام هانىء بن قبيصة وأعطى السلاح لقومه وقسم الدروع فى ذوى القوة والجلد من قومه

فلما دنا الجمع من بكر قال لهم هانىء بن قبيصة:

ـ يا معشر بكر إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب فاركبوا الفلاة

فتسارع الناس إلى ذلك.

*** شجاعة حنظلة بن ثعلبة**

لما سمع حنظلة بن ثعلبة ما قاله هانىء بن قبيصة وثب وقال:

ـ إنما أردت نجاتنا فلم تزد أن ألقيتنا فى الهلكة

فرد الناس وقطع وضن ـ الوضين: حزام عريض يشد به الرحال أو الهودج على البعير، والجمع وضن ـ الهوادج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا **فسمى حنظلة بمقطع الوضن**

وضرب حنظلة بن ثعلبة على نفسه قبة ببطحاء ذى قار، وآلى ألا يفر حتى تفر القبة، **فمضى من مضى من الناس ورجع أكثرهم، واستقوا ماء لنصف شهر.**

وآتتهم الأعاجم فقاتلهم بالحنو، فجزعت الأعاجم من العطش وهربت إلى الجيابات، فتبعتهم بكر وعجل، وأبلت عجل بلاء حسنا حتى عطش الأعاجم، فمالوا إلى بطحاء ذى قار، وكمن يزيد السكونى وكان حليفا لبنى شيبان فى مكان من ذى قار هو الجب

فلما جاء إياس بن قبيصة مع الفرس إلى الجب، خرج يزيد السكونى مع كمينه وباغت إياس بن قبيصة ومن معه فانهزموا، **وساعد ذلك كثيرا فى هزيمة الفرس**

*** شعر حنظلة**

وفى ذى قار قال حنظلة بن ثعلبة:

قد شاع أشياعكم فجدوا ... ما علتى وأنا مؤد جلد

والقوس فيها وترعرد ... مثل ذراع البكر أو أشد

قد جعلت أخبار قومى تبدو ... إن المنايا ليس منها يد

نفسى فداكم وأبى والجد

وقال حنظلة أيضا:

ياقوم طيبوا بالقتال نفسًا　　　أجدر بيوم أن تفُلوا الفُرسا

وبعد أن انهزم هانئ بن قبيصة صار الأمر إلى حنظلة بن ثعلبة الذى طلب منهم الثبات والوقوف فى وجه الفرس

وها هو أعشى بكريقول:

لو أن كل معد كان شاركنا　　　فى يوم ذى قار ما أخطأهم الشرف

وحملوا على الفرس ونادى حنظلة بن ثعلبة:

ـ يا قوم هذا يومكم

فحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة بن ثعلبة على ميمنة جيش الفرس فقتل **الهامرز**، وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة جيش الفرس وعليها **جلابزين** الذى قتل على يد حنظلة بن ثعلبة

وانهزم الفرس فى ذى قار على يد العرب.. فكانت موقعة ستذكرها الأجيال.

الحارث بن ظالم

*** مقتل شاس بن زهير**

كان الحارث بن ظالم المرى فارسا وشجاعا وشاعرا

وكان زهير بن جذيمة سيد غطفان وفارسا من فرسان العرب، وكان بينه وبين النعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة نسب وصهر.

أرسل ملك الحيرة إلى زهير بن جذيمة يستزيره بعض أولاده، فأرسل إليه ابنه شاس بن زهير وكان أصغر ولده، فأكرمه النعمان بن امرىء القيس وحباه أفضل الحبوة مسكا وكسوة وقطفا وطنافس.

ثم خرج شاس بن زهير من عند ملك الحيرة يريد قومه، فسار حتى ورد منعجا ـ ماء غنى ـ وهو ماء لأحد غطفان، فأناخ بجوار الماء فى جبل رياح بن الأسك الغنوى وليس على الردهة غير بيته، **ثم راح شاس بن زهير يغتسل** بين الناقة والبيت، وامرأة رياح بن الأسك تنظر إليه وهو مثل الثور الأبيض.

فقال رياح بن الأسك لامرأته:

ـ أعطنى قوسى .

فمدت إليه قوسه وناولته سهما، **فرمى شاس بن زهير فى نحره فأرداه قتيلا، ثم قام وحفر له حفرا وهدمه عليه، ونحر جمله وأكله، وأدخل متاعه إلى بيته**

*** فقد شاس بن زهير**

وفقد شاس بن زهير وقص أثره، وركبوا إلى الملك النعمان بن امرىء القيس فسألوه عن شاس فقال:

ـ حبوته وسرحته

فقالوا:

ـ وما متّعْته به؟

قال النعمان بن امرىء القيس:

ـ مسك وكسوة وقطف وطنافس

فأقبلوا يقصون أثره، فلم تتضح لهم سبيله، ومكثت عبس كذلك ما شاء الله

وقيل لزهير بن جذيمة:

ـ إن شاسا أقبل من عند الملك النعمان وكان آخر العهد به بماء غنى

فسار زهير بن جذيمة إلى ديار غنى وهم حلفاء فى بنى عامر بن صعصعة، فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه شاس فقالوا:

ـ والله لا نعلم خبره

قال:

ـ لكنى أعلم خبره

فقال له أبو عامر:

ـ فما الذى يرضيك منا؟

قال زهير بن جذيمة:

ـ واحدة من ثلاث: إما تحيون ولدى، وإما تسلمون إلى غنيا حتى أقتلهم بولدى، وإما الحرب بيننا وبينكم ما بقينا وبقيتم.

فقالوا:

ـ ما جعلت لنا فى هذه مخرجا، أما احياء ولدك فلا يقدر عليه إلا الله، وأما تسليم غنى إليك فهم يمتنعون مما يمتنع منه الأحرار، وأما الحرب بيننا فوالله إننا نحب رضاك ونكره سخط، ولكن إن شئت الدية، وإن شئت تطلب قاتل ابنك فنسلمه إليك، أو تهب دمه فإنه لا يضيع فى القرابة والجوار.

قال زهير بن جذيمة:

ـ ما أفعل إلا ما ذكرت

فلما رأى خالد بن جعفر بن كلاب تعدى زهير بن جذيمة على أخواله من غنى قال:

ـ والله ما رأينا كاليوم تعدى رجل على قومه

فقال له زهير بن جذيمة:

ـ فهل لك أن تكون طلبتى عندك وأترك غنيا؟

قال خالد بن جعفر؟

ـ نعم

فانصرف زهير بن جذيمة، ثم أرسل امرأة وأمرها أن تكتم نسبها وأعطاها لحم جزور لتبيع اللحم بطيب وتسأل عن حال ولده.

فانطلقت المرأة إلى غنى، **وراحت تبيع لحم الجزور بالطيب**، حتى انتهت إلى امرأة رياح بن الأسك فقالت لها:

ـ قد زوجت بنتا لى وأريد الطيب بهذا اللحم

فأعطتها طيبا وحدثتها كيف أن رياحا قتل شاسا

فعادت المرأة إلى زهير بن جذيمة وأخبرته

*** الحرب بين عبس وبنى عامر**

جمع زهير بن جذيمة خيله وجعل يغير على غنى حتى قتل منهم مقتلة عظيمة ووقعت الحرب بين بنى عبس وبنى عامر.. وعظم الشر

*** زهير بن جذيمة وخالد بن جعفر**

خرج زهير بن جذيمة فى أهل بيته فى الشهر الحرام إلى عكاظ، فالتقى هو وخالد بن جعفر بن كلاب، فقال له خالد:

ـ لقد طال شرنا منك يا زهير

فقال زهير بن جذيمة:

ـ أما والله ما دامت لى قوة أدرك بها ثأرا فلا انصرام له

وكانت هوازن تعطى زهير بن جذيمة الإتاوة كل سنة وهو يسومها الخسف، **وفى أنفسها منه غيظ وحقد يملأ الصدور**

ثم عاد خالد بن جعفر، وزهير بن جذيمة إلى قومهما

وسبق خالد بن جعفر إلى بلاد هوازن فجمع إليه قومه وندبهم إلى قتال زهير ابن جذيمة، فأجابوه، وتأهبوا للحرب وخرجوا يريدون زهيرا وهم على طريقه

وسار زهير بن جذيمة حتى نزل على أطراف بلاد هوازن، فقال له ابنه قيس:

ـ انج بنا من هذه الأرض فإنا قريب من عدونا

فقال زهير بن جذيمة:

ـ يا عاجز وما الذى يخوفنى من هوازن ونتقى شرها؟ فأنا أعلم الناس بها

فقال قيس بن زهير:

ـ دع عنك اللجاج وأطعنى، وسر بنا فاننى خائف من عاديتهم

وكانت تماضر بنت الشريد بن رياح بن يقظة بن عصية السلمية أم ولد زهير وقد أصاب بعض اخوتها دما فلحق ببنى عامر، وكان فيهم، فأرسله خالد بن جعفر بن كلاب عينا له ليأتيه بخبر زهير بن جذيمة، فخرج حتى أتاهم فى منزلهم، فعلم قيس بن زهير حاله، وأراد هو وأبوه أن يوثقوه ويأخذوه معهم إلى أن يخرجوا من أرض هوازن ، فمنعتهما أخته تماضر بنت الشريد، فأخذوا عليه العهود ألا يخبرهم. . . وأطلقوه.

فسار إلى خالد بن جعفر ووقف إلى شجرة يخبرها الخبر، فركب خالد بن جعفر ومن معه إلى زهير بن جذيمة، وهو غير بعيد منهم، فاقتتلوا قتالا شديدا، والتقى خالد وزهير فاقتتلا طويلا ثم تعانقا وسقطا على الأرض، وشد ورقاء بن زهير على خالد بن جعفر فضربه بسيفه فلم يصنع شيئا لأنه قد ظاهر بين درعين، وحمل جندح بن البكاء وهو ابن امرأة خالد بن جعفر على زهير بن جذيمة فقتله وهو وخالد يعتركان

فانصرف خالد بن جعفر عنه، وعادت هوازن إلى منازلها، وحمل بنو زهير أباهم إلى بلادهم فقال ورقاء بن زهير:

رأيت زهيرا تحت كلكل خالد ... فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
إلى بطلين يعثران كلاهما ... يريد رياش السيف والسيف نادر
فشلت يمينى يوم أضرب خالدا ... ويمنعه منى الحديد المظاهر
فياليت أنى قبل أيام خالد ... وقبل زهير لم تلدنى تماضر
لعمرى لقد بشرت بى إذ ولدتنى ... فماذا الذى ردت عليك البشائر
فطر خالد إن كنت تستطيع طيرة ... ولا تقعن إلا وقلبك حاذر
أتتك المنايا إن بقيت بضربة ... تفارق منها العيش والموت حاضر

الكلكل: الصدر

وقال خالد بن جعفر يمن على هوازن بقتله زهير بن جذيمة:

أبلغ هوازن تكفر بعدما ... أعتقتهم فتوالدوا أحرارا
وقتلت ربهم زهيرا بعدما ... جدع الأنوف وأكثر الأوتارا
وجعلت مهر نسائهم ودياتهم ... عقل الملوك هجائنا وبكارا

*** غطفان تطلب بدم زهير**

علم خالد بن جعفر أن غطفان سيطالبون بدم سيدهم زهير بن جذيمة، فسار خالد إلى النعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة واستجار به فأجاره، وضرب له قبة وجمع بنى زهير لهوازن.

فقال الحارث بن ظالم المرى:

ـ اكفونى حرب هوازن، وأنا أكفيكم خالد بن جعفر

وسار الحارث بن ظالم المرى حتى قدم على النعمان بن امرىء القيس فدخل عليه وعنده خالد بن جعفر وهما يأكلان تمرا، فأقبل النعمان يسأله فحسده خالد ابن جعفر، فقال للنعمان:

ـ أبيت اللعن، هذا رجل لى عنده يد عظيمة، قتلت زهيرا وهو سيد غطفان فصار هو سيدها

فقال الحارث بن ظالم المرى:

ـ سأجزيك على يدك عندى

وجعل الحارث بن ظالم يتناول التمر ليأكله فيقع من بين أصابعه من الغضب

فقال عروة بن جعفر لأخيه خالد:

ـ ما أردت بكلامه وقد عرفته فتاكا؟

فقال خالد بن جعفر:

ـ وما يخوفنى منه؟ فوالله لو رأنى نائما ما أيقظنى

ثم خرج خالد بن جعفر وأخوه عروة إلى قبتهما فشرجاها ـ شرج الشىء شرجا: ضم أجزاءه بعضا إلى بعض ـ عليهما، ونام خالد وعروة عند رأسه يحرسه.

فلما أظلم الليل انطلق الحارث بن ظالم المرى إى خالد بن جعفر فقطع شرج القبة، ودخلها وفوجىء به عروة بن جعفر، فقال الحارث بن ظالم لعروة:

ـ لئن تكلمت قتلتك، ثم أيقظ خالد

فلما أيقظ عروة أخاه خالد

قال الحارث بن ظالم المرى:

ـ أتعرفنى؟

قال خالد بن جعفر:

ـ أنت الحارث

قال الحارث بن ظالم:

ـ خذ جزاء يدك عنى

وضربه بسيفه المعلوب ـ السيف الذى حزم مقبضه بعلباء البعير وهى العصبة الممتدة فى العنق ـ فقتله

ثم خرج الحارث بن ظالم المرى من القبة، وركب راحلته وسار

وخرج عروة بن جفر بن كلاب من القبة يستغيث، وأتى باب النعمان بن امرىء القيس فدخل عليه وأخبره الخبر، فبث الرجال فى طلب الحارث بن ظالم

يقول الحارث بن ظالم المرى:

ـ لما سرت قليلا خفت أن أكون لم أقتله ـ خالد بن جعفر بن كلاب ـ فعدت متنكرا واختلطت بالناس ودخلت عليه فضربته بالسيف حتى تيقنت أنه مقتول، وعدت فلحقت بقومى

*** النعمان بن امرىء القيس يطلب الحارث بن ظالم المرى**

عندما علم النعمان بن امرىء القيس بمقتل خالد بن جعفر راح يطلب الحارث بن ظالم المرى **ليقتله بجاره، وهوازن تطلبه لتقتله بسيدها خالد بن جعفر،** فلحق بتميم فاستجار بضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم، وحاجب بن زرارة سيد بنى دارم، فأجاراه على النعمان بن امرىء القيس وهواون.

ولما علم النعمان بذلك جهز جيشا إلى بنى تميم عليهم ابن الخمس التغلبى الذى كان يطلب الحارث بن ظالم المرى لأنه قتل أباه.

وسار الأحوص بن جعفر بن كلاب أخو خالد ببنى عامر فاجتمع هو وعسكر النعمان على بنى دارم فلما صاروا بأدنى مياه بنى دارم، رأوا امرآة تجنى الكماة ومعها جمل لها، فأخذها رجل منهم وسألها عن الخبر، فأخبرته بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زرارة بن عدس، وما وعدوه من نصره ومنعته.

فلما كان الليل نام الرجل فقامت المرأة إلى جملها فركبته وسارت حتى صبحت بنى دارم وقصدت دار سيدهم فقالت له:

ـ أخذنى أمس قوم لا يريدون غيرك ولا أعرفهم.

فقال حاجب بن زرارة:

ـ أى قوم هم؟

قالت المرأة:

ـ يقبلون بوجوه الظباء ويدبرون بأعجاز النساء.

قال حاجب بن زرارة:

ـ أولئك بنو عامر

ودعا حاجب بن زرارة الحارث بن ظالم وقال له:

ـ يا ابن ظالم هؤلاء بنو عامر قد أتوك فما أنت صانع؟

قال الحارث بن ظالم المرى:

ـ ذاك إليك فإن شئت أقمت فقاتلت القوم، وإن شئت تنحيت.

قال حاجب بن زرارة:

ـ تنحى عنى غير ملوم.

فغضب الحارث بن ظالم المرى وأنشد:

لعمرى لقد جاورت فى حى وائل ... ومن وائل جاورت فى حى تغلب

فأصبحت فى حى الأراقم لم يقل ... لى القوم يا حار بن ظالم اذهب

وقد كان ظنى إذ عدلت إليكم ... بنى عدس ظنى بأصحاب يثرب

غداة أتاهم تبع فى جنوده ... فلم يسلموا المرأين من حى يحصب

فإن تك فى عليا هوازن شوكة ... تخاف ففيكم حد ناب ومخلب.

وإن يسلم المرء الزرارى جاره ... فأعجب بها من حاجب ثم أعجب

الأراقم : حى من تغلب

عدس: جد حاجب بن زرارة

فغضب حاجب بن زرارة وقال:

لعمر أبيك الخير ياجار إننى ... لأمنع جارا من كليب بن وائل

وقد علم الحى المعدى أننا ... على ذلك كنا فى الخطوب الأوائل

وأنا إذا ما خاف جار ظلامة ... لبسنا له ثوبى وفاء ونائل

وأن تميما لم تحارب قبيلة ... من الناس إلا أولعت بالكواهل

ولو حاربتنا عامر يابن ظالم ... لعضت علينا عامر بالأنامل

ولاستيقنت عليا هوازن أننا ... سنوطئها فى دارها بالقبائل

ولكننى لا أبعث الحرب ظالما ... ولو هجتها لم آلف شحمة آكل

فتنحى الحارث بن ظالم المرى عن بنى دارم ولحق بعروض اليمامة

*** هزيمة جيش النعمان**

أرسل حاجب بن زرارة إلى الرعاء:

ـ احضروا الإبل

ففعلوا ،وأمرهم أن يحملوا الأهل والأثقال ويمضوا نحو بلاد بغيض

وفرق الرسل فى بنى مالك بن حنظلة فأتوه، فأخبرهم الخبر، وأمرهم فوجهوا أثقالهم إلى بلاد بغيض، وبات القوم مستعدين.

لما أصبح بنو عامر أخبرهم الغنوى حال الظعينة وهربها، فاجتمعوا وتشاوروا وقال بعضهم:

ـ كأنى بالظعينة قد أتت قومها فأخبرتهم الخبر، فاحذروا وأرسلوا النساء والأموال إلى بلاد بغيض واركبوا بنا فى طلب نعمهم وأموالهم فانهم لا يشعرون حتى نصيب حاجتنا وننصرف.

فركبوا يطلبون ظعن بنى تميم .

ولما أبطأ القوم عن حاجب بن زرارة قال لقومه:

ـ إن القوم قد توجهوا إلى ظعنكم وأموالكم فسيروا إليهم.

فساروا مجدين فلحقوهم قبل أن يصلوا إلى الظعن والنعم.

والتقى الجمعان ، واقتتلوا قتالا شديدا وقتلت بنو مالك بن حنظلة رئيس جيش النعمان بن امرىء القيس الخمس التغلبى ، وأسرت بنو تميم معد بن زرارة وجاء قيس بن زهير فيمن معه وحمل مع بنى دارم على بنى عامر وجيش النعمان فهزموهم وشتتوا شملهم.

*** الفداء**

وفد لقيط بن زرارة فى فداء أخيه معبد بن زرارة فقال لبنى عامر:

ـ عندى لكما مائتا بعير

قالوا:

ـ يا أبا نهشل أنت سيد الناس وأخوك معبد سيد مضر، فلا نقبل فيه إلا دية الملك.

فأبى لقيط بن زرارة أن يزيدهم ، وقال لهم:

ـ إن أبانا أوصانا ألا نزيد أحدا فى ديته على مائتى بعير.

فقال معبد لأخيه لقيط:

ـ لا تدعنى يا لقيط، فوالله لئن تركتنى لا ترانى بعدها أبدا.

فقال لقيط بن زرارة:

ـ صبرا أبا القعقاع فأين وصية أبينا: لا تواكلوا العرب أنفسكم، ولا تزيدوا بفدائكم علي فداءرجل منكم فتذؤب ـ خبث وصار كالذئب ـ بكم ذؤبان العرب.

ورحل لقيط بن زرارة عن بنى عامر، ومنع القوم معبد بن زرارة عن الماء **وضاروه حتى مات هزالا**

وقيل: إن معبد بن زرارة **أبى أن يطعم شيئا أو يشرب شيئا حتى مات هزالا.**

*** عمرو بن الإطنانة والحارث بن ظالم المرى.**

كان خالد بن جعفر صديقا لعمرو بن الإطنانة، فلما بلغه خبر مقتل خالد قال:

ـ والله لو وجده الحارث بن ظالم يقظان ماأقدم عليه، ولوددت أنى لقيته فبلغ الحارث بن ظالم المرى قول عمرو بن الإطنانة فقال:

ـ والله لآتينه فى رحله ولا ألقاه إلا ومعه سلاحه.

فبلغ ذلك ابن الإطنانة فقال:

أبلغ الحارث بن ظالم المـــ عد والناذر النذور عليـــــا

إنما تقتل النيام ولا تقــــ تل يقظان ذا سلاح كميا

فبلغ الحارث بن ظالم شعر ابن الإطنانة، فسار إلى يثرب وسأل عن منزل ابن الإطنانة، فلما دنا منه نادى:

ـ يا ابن الإطنانة اغشنى

فأتاه عمرو بن الإطنانة وقال:

ـ من أنت؟

قال الحارث بن ظالم:

ـ رجل من بنى فلان خرجت أريد بنى فلان.

وكان يسمى له أسماء وهمية لا وجود لها، ثم قال:

ـ عرض لى قوم قريبا منك فأخذوا ما كان معى فاركب معى حتى نستنقذه.

فلبس عمرو بن الإطنانة سلاحه ومضى مع الحارث بن ظالم المرى.

فلما أبعد عن منزل ابن الإطنانة عطف عليه وقال:

ـ أنائم أنت أم يقظان؟

فقال عمرو بن الإطنانة:

ـ يقظان

قال الحارث بن ظالم المرى:

ـ أنا أبو ليلى وسيفى المعلوب.

فألقى عمرو بن الإطنانة سيفه من هول المفاجأة وقال:

ـ قد أعجلتنى فأمهلنى حتى آخذ سيفى

فقال الحارث بن ظالم المرى:

ـ خذه

قال عمرو بن الإطنانة :

- أخاف أن تعجلنى عن أخذه

قال الحارث بن ظالم :

- لك ذمة ظالم لا أعجلك عن أخذه.

قال عمرو بن الإطنانة:

- فوذمة الإطنانة لا آخذه.

فانصرف الحارث بن ظالم المرى وهو يقول:

بلغنا مقالة المرء عـــمرو	**فالتقينا وكــان ذاك بديـا**
فهممنا بقتله إذ برزنـــا	**ووجدناه ذا ســلاح كميا**
غير ما نائم يروع بالفتـــ	**ك ولكن مقلدا مشرفيـــا**
فمننا عليه بعد علـــــو	**بوفاء وكنت قدما وفيـــا**

*** مقتل الحارث بن ظالم المرى**

لما علم الحارث بن ظالم أن النعمان بن امرىء القيس قد جد فى طلبه، وهوازن لا تقعد عن الطلب بثأر خالد بن جعفر، خرج الحارث بن ظالم متنكرا إلى الشام، **واستجار بيزيد بن عمرو، فأكرمه وأجاره، وكان ليزيد ناقة مميزة ليس فى الشام مثلها.**

وحمت امرأة الحارث بن ظالم واشتهت شحما ولحما، فأخذ الحارث بن ظالم ناقة يزيد بن عمرو وأدخلها شعبا وذبحها وحمل إلى امرأته شحمها ولحمها.

وفقدت الناقة فطلبت فوجدت عقيرة بالوادى، فأرسل الملك إلى كاهن فقال:

- رجل آبق - هارب - استجار بك فأجرته وأكرمته نحرها.

فأرسل يزيد بن عمرو امرأة بطيب تشترى من لحم الناقة من امرأة الحارث بن ظالم المرى، فأدركها الحارث وقد اشترت اللحم فقتلهاودفنها فى داره.

فسأل الملك الكاهن عن المرأة فقال:

- إن قاتلها هو من نحر الناقة، وإذا كرهت أن تفتش بيته، فأمره بالرحيل، فإذا

رحل فتشت بيته.

ففعل الملك ما طلبه منه الكاهن، فلما رحل الحارث بن ظالم فتش الكاهن بيته فوجد المرأة مقتولة.

وأحس الحارث بن ظالم المرى بالشر فعاد إلى داره فوجد الكاهن فقتله.

وأخذ الحارث بن ظالم وأحضر عند الملك فأمر بقتله.

فقال الحارث بن ظالم:

ـ إنك قد أجرتنى فلا تغدر بى.

قال يزيد بن عمرو:

ـ إن غدرت بك مرة واحدة فقد غدرت بى مرارا

وأمر بقتله.

زنوبيــــا

زنوبيا سليلة قبيلة العماليق العربية.

تزوجت زنوبيا من الأمير العربى أذينة الذى تولى إمارة تدمر بعد وفاة والده.

كان أذينة يجسد المجد العربى قبل الإسلام، ويتمنى أن يقيم الوحدة بين قومه العرب

وكانت تدمر آنئذ تحت حماية روما التى احتلتها سنة ١٠٦ ميلادية.

وكان الروم يكسبون من تدمر المال الوفير الذى يقدمه لهم أميرها كدليل على الطاعة كما كانوا يكسبون سندا فى الشرق ضد أعدائهم الفرس.

وكان أذينة يفضل إخلاصه لروما على صداقته للفرس الذين لم يكن يأمن شرهم فقد كانت إمارته تقع بين الإمبراطوريتين المتحاربتين امبراطورية الروم وامبراطورية الفرس.

وجهز أذنيه جيشا جرارا عندما علم أن الملك سابور مليك الفرس قد تغلب على امبراطور الروم فالريان

والتقى جيش أذينة مع جيش سابورواقتتلوا قتالا شديدا.. وهزم جيش أذينة الجيش الفارسى بعد بقاء الجيش عاما كاملا بعيداً عن تدمر.

*** تآمر القائد ورد**

كان الأمير أذينة قد ترك القائد وردا مع كتيبة من الجيش لحماية تدمر، ولكن القائد وردا راح يدبر المؤامرات، وأخذ سكان تدمر يتحدثون عن تلك المؤامرات، وظن وجهاء مدينة تدمر أن الأميرة زنوبيا عاجزة عن السيطرة على الإمارة بعد **غياب أذينة فى حربه مع سابور ملك الفرس.**

لكن الأميرة زنوبيا لم تكن كما يظن الوجهاء فى المدينة، فقد كانت تنتظر الفرصة المناسبة لتنقض على القائد ورد بعد أن تجد أو يصل إليها الدليل القاطع على خيانته وتآمره، **ويثبت لديها من خلال حسان معاون القائد تآمر ورد** مع قبيلة سليح التى حشدت قواتها لتهاجم تدمر.

أمرت الأميرة زنوبيا باحضار القائد ورد فلما أقبل وأصبح علي خطوة منها نزعت من سرجها سوطا وهوت به على وجهه ثم قالت لحسان:

ـ خذه إلى السجن واحرص على حراسته، فأنت منذ الآن قائد جيش تدمر.

أودع حسان وردا فى السجن، ثم عاد حسان إلى الأميرة زنوبيا فقالت له:

ـ ادع وجوه القوم فى المنتدى فإنى أريد أن أنذر الخائن فيهم وأعرف الأمين منهم.

*** عيد الانتصار.**

عندما انتهت الأميرة زنوبيا من اجتماعها مع وجوه تدمر، وصلها كتاب من **الأمير أذينة يحمل أخبار البشرى بانتصاره على جيش الملك سابور الفارسى.**

فأمرت الأميرة زنوبيا بتوزيع الهدايا على أعيان المدينة.

*** أذينة ملكا على تدمر:**

انتشرت أنباء انتصار الأمير أذينة فى الممالك والإمارات المجاورة والبعيدة، واستعدت الأميرة زنوبيا لاستقبال زوجها مع سكان تدمر وأمرائها وشيوخ القبائل ورسل الملوك الذين جاءوا للاشتراك فى استقبال الأمير المنتصر.

وقضت تدمر أياما مجيدة متصلة واحتفالات متلاحقة، وتوافد أهل تدمر إلى منتدى المدينة وأقبل أذينة فى العربة التى يسوقها قائد حامية تدمر، وكانت الأميرة زنوبيا تجلس إلى جانبه فهتف الناس وتردد الهتاف للأميرين معا، وكان شعب **تدمر معجبا بالأمير العربى الذى هزم الفرس.**

وجاء رسول جالينوس امبراطور الروم، وتقدم من الأمير أذينة الذى جلس هو وأسرته فى المقصورة أمام الشعب وسلمه كتاب مولاه بعد أن انحنى تحية له.

ومما جاء فى كتاب امبراطور الروم:

إن دولة الروم تفتح ذراعيها للملك الصديق حامى حمى تدمر وقائد جيوش الشرق، القائد العظيم أذينة.

فردد الشعب كله:

ـ أذينة ملك الشرق وصديق الامبراطور جالينوس.

وبعد أن كانت تدمر أمارة صارت مملكة وأصبح أذينة ملكا.

وصارت زنوبيا ملكة تدمر

*** نيران الثورة تندلع فى الشام.**

ترامت الأنباء إلى تدمر أن نيران الثورة قد اندلعت فى الشام بزعامة القائد **بالستا**، وكان على أذينة ملك تدمر وقائد جيوش الشرق كلها أن ينطلق إلى الشام على رأس جيشه ليخمد نيران الثورة ويعيد الأمن والإستقرار إلى الشام.

وجاءت البشارة بانتصار أذينة وجيشه **وانهزام بالستا** بعد أن استسلم **فعاد الشام** إلى سلطة امبراطور الروم، وأن الملك أذينة أسرع بجيشه إلى أسيا الصغري لمساعدة امبراطور الروم **فى حربه ضد القوط**.

*** الثورة فى تدمر.**

أمرت الملكة زنوبيا أن تعلن بشائر النصر فى مملكة تدمر، وشارك الناس أفراح النصر، وأثناء الاحتفالات سمع صراخ فى المدينة فراح الناس يتساءلون:

ـ ماذا هناك؟

وعلمت الملكة زنوبيا أن **الضحيان الكاهن الخائن** الذى هرب من تدمر قد تسلل إليها عندما علم بغياب الملك أذينه مع جموع كثيرة لاحتلال تدمر.

ودارت معركة وقتال عنيف بينه وبين حسان قائد الجيش، قتل على أثرها حسان.

وراح أتباع الضحيان يهددون تدمر بأثرها، فأسرعت الملكة زنوبيا إلى القصر ومعها بعض الحراس الأوفياء والفرسان الأمناء، وأمرت باغلاق القصر خشية أن يقتحمه الثوار.

*** زنوبيا تخرج من القصر متسللة.**

قررت الملكة زنوبيا أن تخرج من الباب السرى للقصر وتنطلق إلى حمص

حيث كان يقيم الملك أذينة

ووصلت الملكة زنوبيا حمص، **وكادت المفاجأة أن تخلع فؤادها عندما علمت أن الملك أذينة قد قتل على يد ابن أخيه معن بن الحيران الذى كان سجينا عنده ولكنه أطلق سراحه وعفا عنه.**

حدث ذلك فى وليمة أقامها الملك أذينة لضيوفه من وجوه الأمراء والقادة والتجار، وحضر هذه الوليمة معن بن الحيران الذى لحق بعمه أذينة ليؤازره فى **حربه بعد أن أطلق الملك سراحة ولم يعلم أذينة أن ابن أخيه ما زال حاقدا عليه وأنه يدبر مؤامرة ضده. وبينما كان الضيوف ينعمون بالوليمة، والسرور يملأ المكان،** حدثت مفاجأة عجيبة لم يكن يتوقعها أحد كان معن بن الحيران يظهر جفاء لعمه الملك أذينة وينتهز مناسبة الحديث ليحقر من قدره، ووجه لعمه أذينة كلمات نابية، وكانت تلك اشارة متفقا عليها لبدء تنفيذ المؤامرة.

نهض الملك أذينة ليدافع عن كرامته، لكن أتباع معن بن الحيران الذين كانوا خارج القاعة ينتظرون تلك الإشارة هجموا على الملك أذينة وأتباعه فقتلوه هو وابنه هيرود وبعض المخلصين له.

*** ذكاء زنوبيا مع معن بن الحيران**

قالت الملكة زنوبيا:

ـ أين الأمير معن؟

قيل لها:

ـ إنه فى معسكر الجنود

كانت الملكة زنوبيا هى التى ألحت على زوجها الملك أذينة لاطلاق سراح ابن أخيه معن بن الحيران ولما علم معن ذلك شكر الملكة زنوبيا.

انطلقت زنوبيا إلى المعسكر وهى تفكر فى المصيبتين اللتين ألمتا بها: مصيبة زوجها الذى قتل ومصيبة قصرها المحاصر.

ركب الدهش والعجب معن بن الحيران عندما وقع بصره على الملكة زنوبيا

وقال فى نفسه:

ـ كيف أتت هذه المرأة حمص ؟ هل علمت بمقتل زوجها وهى فى تدمر؟ هل تعلم أنى ملك تدمر الآن؟

ولكن الملكة زنوبيا قطعت عليه حبل تفكيره فقالت فى صوت ينز ألما:

ـ أيها الملك

لما سمع معن بن الحيران كلمة ملك هدأ روعه.. واعتقد أنها جاءت إليه مستسلمة ومد معن بن الحيران يده نحوها بالتحية.

لكنه سمع من ورائه صيحة:

ـ اقتلوا الخائن

التفت معن بن الحيران خلفه فوجد عشرات الجنود قد التفوا حوله وفى **طليعتهم مالك بن زباع وقبل أن يفيق معن بن الحيران من حيرته ودهشه كان سيف مالك بن زباع قد أطاح برأسه ثم أقبلت كتائب الجيش وقضت على أتباع معن بن الحيران.**

ولم تصدق الملكة زنوبيا ما حدث، هل هى فى حلم؟ ولكنها تنبهت إلى صوت مالك بن زباع يقول:

ـ ماذا تأمر ملكة تدمر؟

قالت زنوبيا:

ـ جهز الجيش لنعود إلى تدمر

والتقى جيش تدمر وأتباع الضحيان فاقتتلوا قتالا شديدا، وأبلي وهب اللات ابن أذينة بلاء حسنا.

وعاد إلى أمه زنوبيا ملكة تدمر منتصرا، كما كان يعود أبوه أذينة من حروبه.

وعادت زنوبيا ملكة تدمر مرة ثانية.

فهى وصية على ابنها وهب بن اللات، وكان ذلك سنة ٢٦٦ ميلادية.

عروة بن الورد

*** نسبه**

هو عروة بن عمر بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوف ابن غالب بن قطيعة بن عبس.

*** فلسفته**

بدأت فلسفة عروة بن الورد الاجتماعية والاقتصادية فى الظهور فى هذا السن المبكرة، وما أن تتقدم الأيام بعروة حتى تتفتح هذه البراعم عن فلسفة ناضجة يؤمن بها كل الإيمان، ثم يأخذ فى تنفيذها والدعوة إليها بكل قوة وحماسة، ومن الطبيعى أن تجد دعوة عروة بن الورد آذانا صاغية وقلوبا مؤمنة.

*** فارس الصعاليك.**

وجدت دعوة عروة بن الورد أنصارا بين أولئك الفقراء المستضعفين الذين أجهدهم الفقر وأهزلهم الجوع وأذلتهم الأوضاع الإجتماعية، وأغلقت فى وجوههم أبواب وسبل العيش الكريم فالتفت حوله طوائف من الصعاليك، يخرج بأقويائهم فيغير ثم يوزع الغنائم على من أغار بهم، وعلى من يتخلف لمرض أو ضعف أيضا، وربما عاد كل منهم إلى أهله وقد استغنى.

*** النفس الإنسانية القوية**

كان الصعاليك يعرفون هذه الصفة بعروة بن الورد، . فكانوا إذا أصابهم الجوع وعضهم الفقر جلسوا أمام باب داره حتى إذا خرج صرخوا وقالوا:

ـ يا أبا الصعاليك أغثنا

فيخرج بهم ليغزو

*** عروة الزعيم الشعبى**

عرف عروة بن الورد نفسية جماهيره فلم يكن هذا الزعيم الشعبى يؤثر نفسه

على صعاليكه، بل كان يأخذ مثل نصيب واحد منهم، ولقد عرف لهذه الزعامة حقوقها.. فأداها.

*** القيادة الحكيمة**

كان عروة بن الورد إلى جانب أنه زعيم شعبى فهو قائد موفق يخرج بجنوده ويرسم لهم الخطط الدقيقة لتى تضمن لهم النصر والفوز.

خرج عروة بن الورد بصعاليكه يوما إلى أرض بنى القين، فهبط أرضا ذات حجارة كبيرة فيها ماء فرأى عليها آثارا، فقال لجنوده:

ـ هذه آثار من يرد الماء فاكمنوا، فقد يكون قد جاءكم رزق.

فأقاموا يوما ولم يروا شيئا، ثم ورد عليهم فصيل ـ الفصيل: ولد الناقة ـ فقالوا:

ـ دعنا فلنأخذه فنأكل منه يوما أو يومين.

فقال عروة بن الورد:

ـ إنكم إذن تنفرون أهله، وإن بعده إبلا.

فتركوه، وندموا، وجعلوا يلومون عروة بن الورد من الجوع الذى أجهدهم.

ووردت إبل بعده تقدر بمائة بعد خمسة أيام فيها ظعينة ورجل معه السيف والرمح، فخرج عروة بن الورد إليه فرماه بسيف أخرجه من ظهره فخر ميتا، واستاق عروة الإبل والظعينة حتى أتى قومه.

*** روبن هود العرب**

على الرغم من أنه قد مضى على تصرفات عروة بن الورد عدة قرون فانها تذكرنا حاليا بأفعال ومغامرات روبن هود، فها هو عروة بن الورد يسلب الأغنياء أموالهم ليوزعها على الفقراء وفقا لفلسفة معينة عبر عنها فى شعره أصدق تعبير حتى أصبح شعره نبراسا يهتدى به قومه.

* لماذا كان عروة بن الورد يغزو؟

يعلل عروة بن الورد لمغامراته بكثرة أضيافه وقلة ماله، فماذا يفعل سوى أن يغامر فى سبيل الغنى حتى يهيء لنفسه شيئا يقدمه لهم، فيحقق حسن ظنهم فيه، ويرضى نفسه الطموح إلى حسن الأحدوثة وطيب الذكر.

فتراه يقول:

يريح على الليل أضياف ماجد   كريم ومالى سارحا مال مقتر

ويتساءل عروة بن الورد:

ـ أيهلك أفراد من المجتمع لفقرهم وجوعهم فى حين يعيش اخوان لهم وهم فى حالة ترف وتخمة، وهو قاعد لا يفعل شيئا؟ وهو الذى باع روحه للموت فى مخاطراته ومغامراته

أيهلك معتم وزيد ولم أقم   على ندبه يوما ولى نفس مخطر

* غاية عروة بن الورد

كانت الغايئة التى يريد أن يصل إليها عروة بن الورد هى الغنى، ولكنه لا يريد الغنى من حيث هو غاية عندها، وإنما يريده وسيلة للارتفاع بمنزلته الاجتماعية بين أفراد مجتمعه، من حيث أن الغنى يهيء له الفرصة التى يشارك فيها الأغنياء فى البذل والكرم واكتساب المحامد والمفاخر:

دعينى أطوف فى البلاد لعلـــنى   أفيد غنى فيه لذى الحق محمل

أليس عظيما أن تلم ملمـــــــة   وليس علينا فى الحقوق معول

فإن نحن لم نملك دفاعا بحادث   تلم به الأيام فالموت أجمـــل

* الفقير فى رأى عروة بن الورد

الفقير فى رأيه شر الناس، وأحقرهم عندهم، وأهونهم عليهم مهما يكن له من فضل، يجافيه أهله وتزدريه ـ تحتقره ـ امرأته، حتى الصغير يستطيع أن يذل الفقير، أما الغنى فمهما يفعل يقبل منه ومهما يخطيء يغفر له :

ذرينى للغنى أسعى فإنـــــــى   رأيت الناس شرهم الفقيــــر
وأدناهم وأهونهم عليهـــــــم   وإن أمسى له حسب وخيـــر
يباعده القريب وتزدريــــــــه   حليلته ويقهره الصغــــــير
ويلقى ذو الغنى وله جـــــلال   يكاد فؤاد لاقيه يطيـــــــر
قليل ذنبه والذنب جـــــــم   ولكن للغنى رب غفـــور

هكذا يسجل فارس الصعاليك وأميرهم فلسفته فى هذه المشكلة الإجتماعية الخطرة، مشكلة الفقر والغنى فى هذا الأسلوب الذى يستمد امتيازه من عنصرين أساسيين هما السخرية والبساطة، والسخرية من هذا المجتمع العجيب الذى يحتقر الفقير لا لشىء إلا أنه فقير، ويقدر الغنى لا لشىء إلا لأنه غنى، ذلك المجتمع الذى لا يهتم بغير المظاهر المادية، أما جوهر النفس الكامن خلف هذه المظاهر فأمر وراء اهتمامه، وكذلك البساطة فى الأسلوب والعرض من أهم السمات التى تضفى على المقطوعة حسنا ورونقا

* فروسية عروة بن الورد.

كان عروة بن الورد من شعراء بنى عبس، كما كان أحد فرسانهم المعدودين، ومما يذكر أن بنى عبس أجدبوا فى سنة أصابتهم، فأهلكت أموالهم، وأصابهم جوع شديد وبؤس، فأتوا عروة بن الورد يستنجدون به فخرج ليغزو بهم ويصيب معاشا، فقد كان فارسا لا يشق له غبار.

* عروة بن الورد خلق للغزو.

كان عروة بن الورد يخجل من الوقوف وسط قطعان الغنم والإبل، لأن الصعاليك وعروة سيدهم لا يرتضون لأنفسهم إلا تلك الأعمال الأساسية التى يقوم عليها المجتمع البدوى كالغزو والإغارة، لأن مكانهم الذي يطلبونه لأنفسهم ليس وراء الإبل أو بين قطعان الغنم ولكنه فى الطليعة المتقدمة بين القادة والأبطال والفرسان.

*** عروة بن الورد مثال الكرم.**

والصعاليك على الرغم من فقرهم وما يلاقونه من مجتمعهم كرماء، حتى ليضرب المثل بهم فى الكرم، **ويقرن عروة بن الورد بحاتم الطائى** الذى يعد فى نظر العرب **المثل الأعلى للجود والسخاء**

قال عبد الملك بن مروان:

ـ من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد

وأبدى تعجبه من أن الناس ينسبون الجود والسخاء إلى حاتم الطائى ولا يذكرون عروة بن الورد

ويصف الأصمعى عروة بن الورد بأنه **شاعر كريم**، أما مادة هذا الكرم فهى بطبيعة الحال ما يغنمونه من غزواتهم فى أرجاء الجزيرة العربية وغاراتهم على القبائل والقوافل التجارية وعلى طبقة الأغنياء والبخلاء، فقد كانت هذه الغنائم **تتيح لهم فرصة مهما تكن قصيرة لكى يتشبهوا بالأغنياء فى البذل والعطاء واكتساب المحامد.**

وهكذا كان الصعلوك ينقلب فى أعقاب غزوه الناجح سيدا كريما نبيلا، يصف على المواقد الإبل التى نهبها ليطعم منها الأرامل واليتامى والفقراء.

فالغزو والغارة والسلب والنهب ليست عند الصعاليك وسائل للغنى وجمع المال فحسب، ولكنها أيضا وسائل للبذل والعطاء واكتساب المحامد والتشبه بالأغنياء فى الكرم والجود

*** ميراث عروة بن الورد**

لم يخلف عروة بن الورد بعد موته سوى سيف ورمح ودرع ومغفر ـ زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ـ وجواد، ويقول فى ذلك:

وذى أمل يرجو تراثى وإن ما ... يصير له منه غدا لقليل
ومالى مال غير درع ومغفر ... وأبيض من ماء الحديد صقيل
وأسمر خطى القناة مثقف ... وأجرد عريان السراة طويل

أبيض : سيف

أسمر خطى القناة مثقف: رمح

أجرد : فرس

هذا كل ما يملكه أبو الصعاليك، وكل ما سيخلفه من بعده لورثته

*** سماحة عروة بن الورد**

يتحدث عروة بن الورد كثيرا عن أصحابه، ولكنه حديث الزعيم والقائد لا حديث الزميل، وهو يصرح أنه سيغزو بهم، لا معهم ليحقق أهدافه ويرضى نفسه

ولعل أطرف ما فى حديث عروة بن الورد عن أصحابه حديثه عن مضايقاتهم له وشكواه من بعض تصرفاتهم التى يضيق صدره بها، وبخاصة تنكرهم له بعد أن يغنموا ويخصبوا ويستغنوا ويصبحوا من الأغنياء المتمولين ولكنه ـ مع هذا كله ـ يغفر لهم كل ذلك لأنهم أبناؤه ورعيته وهو أبوهم الذى يتقبل منهم ما يرتكبونه فى حقه، بالإضافة إلى أنه سيدهم والسيادة تفرض عليه أن يتحمل ما يصدر عنهم، فيعفو عن جاهلهم، ويغفر لمسيئهم، ويقف منهم موقف الزعيم الخبير بنفسية جماهيره ورعيته ويذكرنا هذا بموقف معاوية بن أبى سفيان من الرعية أن بينه وبينهم شعرة يسوسهم من خلا لها ويقودهم بفضلها.

*** قرمل**

إنه فرس عروة بن الورد وهو الذى رافقه فى كل غزواته واغاراته، وقد أشار عروة مرة إلى نجاته من مأزق حرج على ظهر جواده قرمل وهو يعد ذلك منة لهذا الجواد لا تنسى:

كليلة شيباء التى لست ناسيا   وليلتنا إذ من ما من قرمل

الحارث بن عباد

*** حرب البسوس**

كان الحارث بن عباد من حكام بدر وفرسانها المعدودين، انتهت إليه إمرة بنى ضبيعة وهو شاب، عندما علم بمقتل كليب بن ربيعة على يد جساس بن مرة، حزن الحارث بن عباد لذلك واعتزل بأهله وولد اخوته وأقاربه، وحل وترقوسه، ونزع سنان رمحه.

ووقعت الحرب بين بنى تغلب وبنى بكر ودامت أربعين عاما وهى التى **اشتهرت بين العرب بحرب البسوس،** وأول يوم من أيام العرب فى حرب البسوس كان **يوم النهى** وهو ماء كان بنو شيبان نازلين عنده، وكان قائد تغلب هو المهلهل - الزير سالم - **ورئيس شيبان الحارث بن مرة**

وكانت الدائرة فى ذلك اليوم لتغلب

ثم التقوا ثانية **بالذئاب** - الموضع الذى دفن فيه كليب -، فظفرت **أيضا** بنو تغلب وأوقعوا ببنى بكر مقتلة عظيمة، ثم التقوا **بواردات فظفرت** أيضا بنو تغلب، وكان أبو نويرة التغلبى من طلائع قومه، وكذلك كان جساس بن مرة فى طلائع بنى بكر.

والتقى كل من أبى نويرة التغلبى وجساس بن مرة ولم يغلب أحدهما الآخر، بل كان لقاؤهما سجالا.

ثم التقى الحيان **بعنيزة فتكافأ،** ثم التقوا **بالقصيبيات** وكانت الدائرة على بكر **وقتل فى ذلك اليوم همام بن مرة** - كان صديقا لمهلهل بن ربيعة - أخو جساس، والصديق الحميم لمهلهل، **وكان همام زوج ضباع بنت ربيعة أخت المهلهل،** وكان همام بن مرة ينادم المهلهل - يشربان الخمر معا - وكان بينهما عهد ومودة

*** يوم مقتل كليب**

كان همام بن مرة ومهلهل بن ربيعة جالسين معا وهما معتزلان فى جانب الحى، إذ أقبلت جارية إليهما وسارت هماما:

ـ إن جساسا قتل كليبا، وإن مرة والقوم مرتحلون

فقال المهلهل بن ربيعة:

ـ ما شأن الجارية؟ وما بك؟

قال همام بن مرة:

ـ اشرب ودع عنك الباطل

فقال المهلهل:

ـ وما ذاك؟

قال همام بن مرة:

ـ زعمت أن جساسا قتل كليبا

فضحك المهلهل بن ربيعة وقال:

ـ همة أخيك أضعف من ذلك

ثم أقبلا على شرابهما، فجعل المهلهل يشرب شرب الآمن، وهمام يشرب شرب الخائف، ولم تلبث الخمر أن لعبت برأس المهلهل، فانسل همام وأتى قومه، وقد قوضوا الخيام وجمعوا الخيل والنعم، ورحلوا حتى نزلوا بماء يقال لها النهى.

ورجع المهلهل إلى الحى وهو سكران، فرآهم يعقرون خيولهم ويكسرون رماحهم وسيوفهم فقال:

ـ ويحكم، ما الذى دهاكم؟

قالوا:

ـ قتل جساس بن مرة كليبا

قال المهلهل بن ربيعة:

ـ لقد ذهبتم شر مذهب، أتعقرون خيولكم حين احتجتم إليها؟ وتكسرون رماحكم وسيوفكم حين افتقرتم إليها؟

فانتهوا عن ذلك

ورجع المهلهل إلى النساء فنهاهن عن البكاء وقال:

ـ استبقين للبكاء عيونا تبكى إلى آخر الآبد

ولما أصبح المهلهل غدا إلى أخيه كليب فدفنه وقام على قبره يرثيه

وما زال المهلهل يبكى أخاه ويندبه ويرثيه بالأشعار وهو يتوعد بنى مرة حتى يئس بنو تغلب وقالوا:

ـ إنه زير نساء ـ يحب محادثة النساء ومجالستهن ـ

وسخرت بنو بكر من المهلهل بن ربيعة، وهمت بالرجوع إلى الحى، وبلغ ذلك المهلهل بن ربيعة فانتبه للحرب، وشمر ذراعيه، وجمع أطراف قومه، ثم قص شعره وقصر ثوبه، وآلى على نفسه ألا يهتم بلهو، ولا يشتم طيبا ولا يشرب خمرا، ولا يدهن بدهن حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلا من بنى بكر بن وائل

* إنا نعرض عليكم إحدى ثلاث

حث المهلهل بن ربيعة بنى تغلب على الأخذ بالثأر، فقال له أكابر قومه:

ـ إنا نرى ألا تعجل بالحرب حتى تعذر بنى مرة، فوالله ما تجدع بحرب قومك إلا أنفك، ولا تقطع إلا كفك.

فقال المهلهل بن ربيعة:

ـ جدعه الله أنفا، وقطعها كفا، والله لا تحدثت نساء تغلب أنى أكلت لكليب ثمنا، ولا أخذت له دية

فقالوا:

ـ لابد أن تغض طرفك وتخفض جناحك لنا ولهم

فكره المهلهل أن يخالفهم فينفضوا من حوله فقال:

ـ دونكم ما أردتم

وانطق رهط من أشرافهم وذوى أنسابهم حتى أتوا مرة بن ذهل والد جساس قاتل كليب، فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا له:

ـ إنكم أتيتم أمرا عظيما بقتلكم كليبا، فقطعتم الرحم ـ هذا بالاضافة إلى القرابة بين القبيلتين هناك زواج كليب من الجليلة أخت جساس ـ ونحن نكره العجلة عليكم دون الإعذار، وإننا نعرض علكم إحدي ثلاث لكم فيها مخرج ولنا مرضاة: إما أن تدفعوا لنا جساسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله، وإما أن تدفعوا إلينا هماماً فانه ند لكليب، وإما أن تقيدنا من نفسك يا مرة، فان فيك رضا القوم

فسكت، وقد حضرته وجوه بنى بكر فقالوا:

ـ تكلم غير مخذول

فقال مرة بن ذهل:

ـ أما جساس فغلام حديث السن، هرب حين خاف، فوالله لا أعرف أى البلاد انطوت عليه، وأما همام فله أولاد كثيرون ولو دفعته إليكم لصاح بنوه فى وجهى وقالوا: دفعت أبانا للقتل بجريرة غيره، وأما أنا فلا أتعجل الموت، فهل لكم فى غير ذلك؟ فهولاء بنى فدونكم ـ كان عنده عشرة من الأولاد ـ أحدهم فاقتلوه، وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بنو بكر

فغضبوا وقالوا:

ـ إنا لم نأتك لتعطينا رذال بنيك ولا لتسومنا اللبن

ورجعوا، وأخبروا المهلهل بن ربيعة فقال:

ـ والله ما كان كليب بجزور ـ واحد من الإبل ـ نأكل له ثمنا

* الذين اعتزلوا الحرب

اعتزلت قبائل من بكر الحرب، وكرهوا مساعدة بنى شيبان على قتال إخواتهم بنى تغلب، فرحلت بنو عجل عنهم وكفت يشكر عن نصرتهم، وها هو الحارث ابن عباد يعتزل الحرب ويبتعد بأهله عن موطنها

وتغلب تطلب جساسا أشد الطلب حتى قال له أبوه مرة:

ـ الحق بأخوالك بالشام فامتنع

فألح عليه أبوه حتى سيره سرا فى خمسة نفر

وبلغ الخبر المهلهل بن ربيعة فندب أبا نويرة التغلبى أحد سادات تغلب ومعه ثلاثون رجلا من شجعان أصحابه فساروا مُجدين فلم يدركوا جساس بن مرة والذين معه.

*** الحارث بن عباد يرتحل بقومه**

ارتحل الحارث بن عباد مع قومه حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل وعليهم يومئذ الحارث بن همام فقال الحارث بن عباد:

ـ إن القوم مستقلون قومك، وذلك زادهم جرأة عليكم فقاتلهم بالنساء

فقال الحارث بن همام:

ـ وكيف قتال النساء؟

قال الحارث بن عباد:

ـ قلد كل امرأة إداوة ـ إناء صغير من جلد يتخذ للماء ـ من ماء وأعطها هراوة ـ عصا ـ ، واجعل جمعهن من ورائكم، فإن ذلكم يزيدكم اجتهادا، وعلموا قومكم بعلامات يعرفنها، فإذا مرت امرأة على صريع عرفته بعلامته فسقته من الماء ونعشته، وإذا مرت برجل من غيركم ضربته بهراوتها فقتلته، وأتت عليه

فأطاعوه

*** الجليلة فى مواجهة اليمامة**

تواجهت الجليلة زوجة كليب بن ربيعة وابنتها اليمامة، وتطلب الأم من الابنة الصفح وايقاف الحرب التى استمرت **أربعين عاما بسبب ناقة البسوس، ولكن اليمامة ترفض لأن أمها اشتركت علنا فى مقتل أبيها غدرًا لأن القاتل أخوها جساس بن مرة**

*** الهجرس ملك على عرش كليب**

لما قتل جساس كليب بن ربيعة، رجعت الجليلة إلى بيت أبيها مرة، وكانت حاملا فولت غلاما ـ الهجرس ـ ينمو ويترعرع ويتدرب على القتال والفروسية، **ويعلم أن من قتل أباه كليب بن ربيعة هو خاله جساس بن مرة، فينطلق الهجرس إلى عمه المهلهل بن ربيعة**

*** مقتل جساس بن مرة**

علم المهلهل بن ربيعة أن جساس بن مرة خرج إلى بنى فلان ومعه نفر من أصحابه فبعث أبا نويرة التغلبى ونفر من فرسان تغلب فلما التقوا اقتتلوا، فقتل أبو نويرة وجرح جساس جرحا شديدا مات منه

وقيل:

وقع بين الهجرس ـ ولد الثعلب ـ ورجل من بكر كلام فقال الرجل للهجرس:

ـ ما أنت منته حتى نلحقك بأبيك

فأمسك الهجرس عن الرجل ودخل على أمه الجليلة بنت مرة حزينا

وعلم جساس بن مرة بما حدث فأتاه وقال له:

ـ إنما أنت ولدى ومنى بالمكان الذى علمت، وقد زوجتك ابنتى، وقد كانت الحرب فى أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى، وقد اصطلحنا وتحاجزنا، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح، وأن تنطلق حتى نأخذ عليك ما أخذ علينا وعلى قومنا

فقال الهجرس:

ـ إنى فاعل ولكن مثلى لا يأتى قومه إلا بلأمته ـ اللأمة: أداة الحرب كلها من رمح وبيضة وسيف ودرع ـ وفرسه

فحمله جساس على فرس وأعطاه لأمة ودرعا

فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما، فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من

البلاء، وما صاروا عليه من العافية ثم قال:

ـ وهذا الفتى ابن أختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم ويعقد ما عقدتم

فأخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال:

ـ لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه

ثم طعن جساس بن مرة فقتله، ولحق بقومه بنى تغلب

فكان جساس آخر قتيل فى بكر بن وائل

ومنذ أن قتل الهجرس خاله جساس بن مرة تنازل عمه المهلهل بن ربيعة عن العرش ليمضى الهجرس ملكا على عرش أبيه كليب بن ربيعة على أهله وقومه وعشيرته

ومنذ أن قتل جساس بن مرة وضعت الحرب أوزارها بين بنى تغلب وبنى بكر وانتهت حرب البسوس التى امتدت أربعين عاما من أجل ناقة .

قصى بن كلاب

اسمه زيد، وهو من أشرف العرب وسادتها وفرسانها

*** سبب تسميته قصيا**

تزوج أبوه كلاب بن مرة فاطمة بنت سعد بن سبل بن حمالة بن عوف بن غنم من أزد شنوءة حلفاء بنى الديل فولدت زهرة وزيدا فهلك كلاب وزيد صغير

وقد شب زهرة وكبر فقدم ربيعة بن حرام بن ضنة بن عبد بن كبير بن عذرة ابن سعد بن زيد أحد قضاعة فتزوج فاطمة بنت سعد أم زهرة وزيد فاحتملهما إلى بلاده ومعها رضيعها زيد، وبلاده من أرض بنى عذرة من أشراف الشام

بينما تخلف زهرة فى قومه **فسمى زيد قصيا لبعد داره عن دار قومه،** ولم يبرح زهرة مكة

*** إخوة قصى من أمه**

ولدت فاطمة بنت سعد لربيعة بن حرام - رزاح بن ربيعة، فكان أخا قصى لأمه، وكان لربيعة ثلاثة نفر من امرأة أخرى وهم: حُن بن ربيعة، محمود بن ربيعة، جلهمة بن ربيعة، وكان قصى قد شب فى حجر ربيعة -

لما كبر قصى وأضحى شابا أنَّبه ذات يوم رجل من قضاعة وعيره بالغربة فقال له:

- عليك أن تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا

فرجع قصى إلى أمه وقد وجد فى نفسه مما قاله له القضاعى، فسألها عما قاله له الرجل فقالت له:

- أنت والله يا بنى أكرم منه نفسا وولدا، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى، وقومك بمكة عند البيت الحرام وفيما حوله

* قصى مجمع القبائل

أجمع قصى الخروج إلى قومه واللحاق بهم، وكره الغربة بأرض قضاعة، فقالت له أمه:

ـ لا تعجل يا بنى بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج مع الحجيج، فإنى أخشى أن يصيبك بعض البأس

فأقام قصى مع أمه فاطمة بنت سعد حتى إذا دخل الشهر الحرام، وخرج حجاج قضاعة فخرج فيهم حتى قدم مكة، فلما فرغ من الحج أقام بها، وكان رجلا جلدا نسيبا، **فخطب إلى حُليل بن حبشية الخزاعى ابنته حُبى بنت حُليل، فعرف حليل النسب ورغب فيه فزوجه وكان حُليل بن حبشية الخزاعى يومئذ يلى الكعبة وأمر مكة فأقام قصى معه، وولد له: عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصى، فلما انتشر ولده وكثر ماله وعظم شرفه، وهلك حليل بن حبشية رأى قصى أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبنى بكر، وأن قريشا فرعة ـ فرعة الجبل: أعلاه، وقيل: قرعة وهى نخبة الشئ وخياره ـ إسماعيل عليه السلام وصريح ولده، فكلم بنى كنانة ورجالا من قريش ودعاهم إلى اخراج خزاعة وبنى بكر من مكة.**

فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام وهو ببلاد قومه فى قضاعة يدعوه إلى نصرته والقيام معه

فقام رزاح بن ربيعة فى قضاعة فدعاهم إلى نصرة أخيه والخروج معه إليه.. فأجابوه إلى ما مادعاهم من ذلك.

نفى قصى بن كلاب خزاعة وولى أمر البيت وأمر مكة وجمع قبائل قريش فأنزلهم أبطح مكة، وكان بعضهم فى الشعاب ورءوس الجبال وقسم منازلهم بينهم.. فسمى مجمعا.

قال حذافة بن غانم:

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا   به جمع الله القبائل من فهر

* الحال قبل قصى

كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجيزهم إذا نفروا من منى، إذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار - ورجل من صوفة يرمى للناس، لا يرمون حتى يرمى - فكان ذوو الحاجات والمعجلون يأتونه ويقولون له:

- قم فارم حتى نرمى معك

فيقول لهم:

- لا والله حتى تميل الشمس

فيظل ذوو الحاجات يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون:

- ويلك قم فارم

فيأبى عليهم حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه، فإذا فرغوا من رمى الجمار وأراد النفر من منى، أخذت صوفة بناحتى العقبة فحبسوا الناس وقالوا:

- أجيزى صوفة

فلم يجز أحد من الناس حتى ينفروا، فإذا نفرت صوفة ومضت خُلّى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم.

فلما كان ذلك العام الذى ولى فيه قصى أمر البيت وأمر مكة فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت ذلك العرب وأقرت به من عهد جرهم وخزاعة ومن وليهم، ثم أتاهم قصى بن كلب بمن معه مع قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة فقالوا:

- نحن أولى بهذا منكم

فناكروه فناكرهم، فقاتلوه.. فاقتتل الناس قتالا شديدا، ثم انهزمت صوفة **وغلبهم قصى على ما كان بأيديهم من ذلك، وحال بينهم وبينه**

*** خزاعة وبنو بكر**

انحازت خزاعة وبنو بكر عن قصى بن كلاب، لقد عرفوا أنه سيمنعهم كما

منع صوفة، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة، فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم، وثبت معه أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه من قومه من قضاعة

خرجت خزاعة وبنو بكر وتهيأوا لحرب قصى بن كلاب، فلما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى من الفريقين جميعا، وفشت فيهم الجراحة، ثم إنهم تداعوا إلى الصلح، إلى أن يُحكموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه، ليقضى بينهم

* الشداخ

حكموا بينهم يعمر بن عوف بن كعب بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وأن كل دم أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر موضوع يشدخه - يريد أنه أبطل تلك الدماء، فلا ديات لها - تحت قدميه، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبنى كنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة، وأن يُخلّى بين قصى بن كلاب وبين الكعبة ومكة.

فسمى يعمر بن عوف يومئذ بالشداخ، لما وضع من دماء

فولى قصى البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه فكان قصى بن كلاب أول ولد كعب بن لؤى أصاب ملكا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله وقطع مكة أرباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها

* دار قصى بن كلاب

كانت قريش قد هابت قطع شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بن كلاب بيده، وأعانوه، وتيمنت قريش بأمره فما تنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا فى داره، وما يتشاورون فى أمر ينزل بهم إلا فى داره، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا فى داره، يعقدها لهم بعض ولده.

وكان أمره فى قومه من قريش فى حياته وبعد موته كالدين المتبع، ولا يعمل

بغيره تيمنا بأمره ومعرفة بفضله وشرفه

واتخذ قصى بن كلاب لنفسه دار الندوة وجعل بابها إلى مسجد الكعبة. ففيها **كانت تقضى قريش أمورها،** فأقام قصى بن كلاب بمكة على شرفه ومنزلته فى قومه لا ينازع فى شىء من أمر مكة، إلا أنه قد أقر للعرب فى شأن حجهم ما كانوا عليه، وذلك لأنه كان يراه دينا فى نفسه لا ينبغى له تغييره.

وكانت صوفة على ما كانت عليه.. حتى انقرضت فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث بن شجنة وراثة.

وكانت عَدوان على ما كانت عليه

وكانت النسأه من بنى مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، **فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام فهدم الله عز وجل به ذلك كله**

*** قصى بن كلاب يوصى لعبد الدار**

كان عبد الدار بكر قصى بن كلاب فأوصى إليه قائلا:

أما والله لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك

فعبد مناف قد شرف فى زمان أبيه، وذهب كل مذهب

وكذلك عبد العزى وعبد بن قصى

أما عبد الدار فقد كان ضعيفا فقال له قصى بن كلاب:

لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها يا عبد الدار، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمورها إلا فى دارك

وأعطاه داره - دار الندوة -

وأعطاه الحجابة والسقاية واللواء والرفادة

وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها إلى قصى بن كلاب فيضع به طعامًا للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم، وذلك فرضه قصى بن كلاب على قريش

وقد قال لهم قصى بن كلاب حين أمرهم به:

ـ يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيت الحرم، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم شرابا وطعاما أيام هذا الحج حتى يصدروا عنكم

ففعلوا.

فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليه، فيصنعه طعاما للناس **أيام منى** فجرى ذلك من أمره على قومه فى الجاهلية

ثم هلك قصى بن كلاب، فأقام أمره فى قومه من بعده بنوه.

نائلة بنت عمرو

الزباء

كان جذيمة الوضاح من أفضل ملوك العرب رأيا، وأشدهم نكاية، وأظهرهم حزما، كان فارسا لا يشق له غبار، **فهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق،** وضم إليه العرب، وغزا بالجيوش.

وكان به برص.. فهابت العرب أن تسميه به أو تنسبه إليه اعظاما له

فقيل:

- جذيمة الوضاح، جذيمة الأبرش

وكانت تجيء إليه الأموال، وتفد إليه الوفود

*** جذيمة يتكهن**

تكهن جذيمة الوضاح واتخذ له صنمين يستسقى بهما ويستنصر بهما على العدو

*** اسمه ونسبه**

هو جذيمة بن مالك بن فهم بن تنوخ قضاعة

خلف أباه واستولى على ما بين الحيرة والأنبار والرقة وما جاور بادية العراق

ودانت له القبائل فاتسعت رقعة ملكه

*** غلام لخم**

ذكر لجذيمة غلام من لخم من أخواله من إياد يقال له **عدى بن نصر بن ربيعة** ابن عمرو بن الحارث ذو فصاحة وظرف ورأى

فغزاهم جذيمة كما كان يغازيهم دائما، فعمدت إياد إلى سدنة ـ خدم، المفرد: سادن ـ الصنمين فسقوهم الخمر **وسرقوا الصنمين،** فأصبحا فى إياد، ثم بعثوا إلى جذيمة:

ـ إن صنميك أصبحا فينا زهدا فيك ورغبة فينا، فإن أوثقت لنا ألا تغزونا رددناهما إليك

فرد عليهم:

ـ ادفعوا إلى عدى بن نصر

فدفعوه إليه ومعه الصنمان

فانصرف جذيمة الوضاح عنهم ولم يعد يغازهم، وضم عدى بن نصر إلى حاشيته وولاه شرابه

* عرس رقاش

أبصرت رقاش بنت مالك أخت جذيمة عدى بن نصر فعشقته وراسلته، وقالت:

ـ يا عدى اخطبنى إلى الملك فان لك حسبا وموضعا

فقال عدى بن نصر:

ـ لا أجترىء على كلامه فى ذلك، ولا أطمع أن يزوجنيك

قالت رقاش بنت مالك:

ـ إذا جلس إلى شرابه وحضر عنده ندماؤه فاسقه صرفا واسق القوم مزاجا، فإذا أخذت الخمر فيه فاخطبنى إليه، فإنه لن يردك، ولن يمتنع منك، فإذا زوجك فأشهد القوم

ففعل عدى بن نصر ما أمرته رقاش بنت مالك.

فلما أخذت الخمر مأخذها، خطب عدى بن نصر رقاش إلى جذيمة، فأملكه إياها فانصرف عدى بن نصر إلى رقاش، وأعرس بها من ليلته، قبل أن يفيق الملك من سكره

وفى الصباح أنكر جذيمة ما رأى من عدى بن نصر وهو مضرح بالخلوق ـ تضرج بالخلوق: تطيب به والخلوق: ضرب من الطيب ـ فقال له:

- ما هذه الآثار يا عدى؟

قال عدى بن نصر:

- أثار العرس

تساءل جذيمة:

- أى عرس؟

قال عدى بن نصر:

- عرس رقاش

قال الملك:

- من زوجكها؟ ويحك

قال عدى بن نصر:

- زوجنيها الملك

فضرب جذيمة بيده على جبهته، وأكب على الأرض ندامة وحسرة وأقسم ألا يشرب الخمر بعد ذلك اليوم

أما عدى بن نصر **فخرج على وجهه هاربا من قبضة جذيمة حتى هلك**

وعاتب جذيمة أخته رقاش فيما حدث فقالت:

- إن عدى بن نصر معروف حسبا ونسبا ومن أشراف العرب وأنه لم يستأمرها فى نفسها ولم تكن مالكة لأمرها

فكف عنها وعذرها

ولم يكن جذيمة الوضاح يعرف أن رقاشا هى التى خططت ودبرت

*** رقاش تلد عمرا**

اشتملت رقاش على حبل فولدت غلاما أسمته عمرا

وعهدته بالتربية والفروسية حتى ترعرع، فلما رآه الملك أعجب به، ووقعت

فى قلب خاله محبته وضمه خاله إليه والتزمه بما عهد فيه من الذكاء والنباهة والرجولة، ثم ألبسه طوقا - يكون بذلك أول عربى لبس طوقا - من الحلى

* شب عمرو عن الطوق

بينما كان عمرو بن عدى على أحسن حاله إذ طلبه خاله جذيمة الوضاح فلم يجده، وضرب الملك فى البلدان بحثا عن عمرو فلم يعثر له على أثر

وحزن الملك حزنا شديدا

وبعد فترة أقبل رجلان أخوان من بلقين: مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام يريدان جذيمة الوضاح، قد أهديا له طُرفًا ومتاعًا.

ولما كان مالك وعقيل ببعض الطريق نزلا منزلا ومعهما قينة - مغنية - يقال لها أم عمرو، فقدمت إليهما الطعام، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى شاحب الوجه، قد تلبد شعره، وطالت أظافره، وساءت حاله، فجاء حتى جلس إلى جانبهما ومديده إلى الطعام، فناولته القينة كراعا فأكلها ثم مد يده إليها فقالت أم عمرو:

- تعطى العبد كراعًا فيطمع فى الذراع

ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها ولم تعط الفتى

فقال عمرو بن عدى:

صددت الكأس عنا أم عمرو   وكان الكأس مجراها اليمينا

ومـا شـر الثـلاثـة أم عمرو   بصاحبك الذى لا تصحبينا

فقال الرجلان:

- من أنت يا فتى؟

قال الفتى:

- أنا عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الوضاح

فنهضا إليه وأكرماه وغسلا رأسه وقلما أظافره، وأخذا من شعره، وألبساه مما كان معهما من الثياب وهو فى عجب مما يحدث له

قال مالك وعقيل:

ـ ما كنا لنهدى لجذيمة هدية أنفس عنده، ولا أحب إليه من ابن أخته، قد رده الله علينا بنا

فخرجا بعمرو بن عدى حتى وصلا إلى جذيمة وبشراه فسر بذلك سرورا شديدا، وأنكره لحال ما كان فيه، فقال مالك وعقيل:

ـ أبيت اللعن إن من كان فى مثل حاله يتغير

فأرسل به إلى أمه رقاش فمكث عندها أياما، ثم عاد إلى خاله فقال:

ـ رأيته يوم ذهب وعليه طوق، فما ذهب عن عينى ولا قلبى إلى الساعة

فأعادوا عليه الطوق، فلما نظر جذيمة الوضاح إلى عمرو بن عدى قال:

ـ شب عمرو عن الطوق

وقال الملك لمالك وعقيل:

ـ حكمكما ـ ما الذى تطلبانه مكافأة لكما ـ؟

قالا:

ـ حكمنا منادمتك ما بقينا وبقيت

فأصبحا من خاصة ندمائه

*** جذيمة يقتل ملك العرب بأرض الجزيرة**

كان عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع العلقمى ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام، فأراد جذيمة أن يستعرض قوته ويهزم ملك الجزيرة، فجمع جموعا من العرب وسار إلى ملك الجزيرة عمرو بن ظرب يريد أن يغزوه.

وأقبل ملك الجزيرة بجموعه من الشام، فالتقوا واقتتلوا قتالا ضاريا، وقُتل عمرو بن ظرب فتفرقت جموعه، وانصرف جذيمة بمن معه سالمين غانمين.

* **الزباء**

لما قتل عمرو بن ظرب بن حسان **ملكت بعده ابنته نائلة**، وكان لها أخت يقال لها **زبيبة ذات رأى ودهاء وحكمة.**

وبنت نائلة بنت عمرو قصرا حصينا على شاطىء الفرات الغربى.

وما أن استجمع لها أمرها واستحكم لها ملكها حتى عزمت على غزو جذيمة الأبرش تطلب بثأر أبيها فقالت لها أختها زبيبة:

ـ إنك إن غزوت جذيمة فانما هو يوم له ما بعده، إن ظفرت أصبت ثأرك، وإن قتلت ذهب ملكك والحرب سجال وعثراتها لا تستقال، وإن كعبك لم يزل ساميا على كل من ناوأك وساماك ولم ترى بأسا ولا غيرا ولا تدرين لمن تكون العاقبة وعلى من تكون الدائرة

فقالت نائلة:

ـ قد أحسنت النصيحة وأحسنت الروية وإ ن الرأى ما رأيت، والقول ما قلت

وانصرفت نائلة بنت عمرو عما كانت عزمت عليه من غزو جذيمة

ولكنها فكرت فى المكر والخداع، فكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها، وأن يصل بلاده ببلادها

ولما وصلت جذيمة الوضاح رسالة نائلة بنت عمرو **رغب فيما أطمعته فيه،** وجمع إليه أهل المشورة والرأى من ثقات أصحابه، وعرض عليهم ما دعته إليه **نائلة بنت عمرو، واستشارهم فى أمره، فأجمع رأيهم أن يسير إليها ويستولى على ملكها**

ولكن قصير بن سعد خالفهم فيما أشاروا به على جذيمة وقال:

ـ رأى فاتر، وغدر حاضر، وإنى أرى فى الأمر مكيدة

وعلى الرغم من أن قصير بن سعد كان ناصحا أمينا وأثيرا لدى جذيمة إلا أنه لم يأخذ برأيه

فقال قصير بن سعد:

- اكتب إليها إن كانت صادقة فلتقبل إليك وإلا فكيف تمكنها من نفسك وقد قتلت أباها؟

فلم يوافق جذيمة على رأى قصير بن سعد، ودعا جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى فاستشاره فشجه على المسير إلى نائلة بنت عمرو

فأطاعة جذيمة بن مالك وعصى قصيرا

فقال قصير بن سعد:

- لا يطاع لقصير رأى

فصار مثلاً

* جذيمة يستخلف عمرو بن عدى

استخلف جذيمة ابن أخته عمرو بن عدى على ملكه وسلطانه وجعل عبد الرحمن الجرمى على خيوله، وسار فى وجوه قومه، فأخذ على الفرات من الجانب الغربى من النهر، فلما نزل دعا قصير بن سعد وسأله:

- ما الرأى؟

قال قصير بن سعد:

- على الجانب الآخر من النهر تركت الرأى

واستقبلت رسل نائلة بنت عمرو جذيمة الوضاح بالهدايا فقال لقصير بن سعد:

- ياقصير كيف ترى؟

قال قصير بن سعد:

- خطر يسير فى خطب كبير وستلقاك الخيول، فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة، وإن أخذت جنبيك وأحاطت بك من خلفك فإن القوم غادرون، فاركب العصا - فرس لجذيمة لا تُجارى - فانى راكبها ومسايرك عليها .

ولقيت الخيول جذيمة بن مالك فحالت بينه وبين العصا فركبها قصير بن سعد فانطلقت به كالسهم إلى غروب الشمس حتى نفقت - ماتت -

وسار جذيمة بن مالك وقد أحاطت به الخيول والكتائب حتى دخل على نائلة بنت عمرو، فلما رأته قالت:

- يا جذيمة أدأب عروس ترى؟

قال جذيمة الوضاح:

- بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى

قالت نائلة بنت عمرو:

- إنى أنبئت أن دماء الملوك شفاء

ثم أجلسته على نطع، وأمرت بطست من ذهب، ثم أمرت ببعض أعضائه فقطعت وقدمت إليه الطست حتى يقع الدم فيه

وقيل لها:

- إن قطر من دمه شيء فى غير الطست طُلب بدمه

وكانت الملوك لا تقتل بضرب الأعناق إلا فى قتال تكرمة للملك

ولما ضعفت يدا جذيمة سقطتا، فقطر من دمه خارج الطست، فقالت الزباء:

- لا تضيعوا دم الملك

فقال جذيمة بن مالك وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة:

- دعوا دما ضيعه أهله

وهلك جذيمة بن مالك، فاستبقت نائلة بنت عمرو دمه

*** قصير بن سعد يخبر عمرو بن عدى**

خرج قصير بن سعد من الحى الذى هلكت العصا - فرس جذيمة بن مالك - بين أظهرهم حتى قدم الحيرة فقدم على عمرو بن عدى وقال له:

ـ تهيأ واستعد ولا تطل دم خالك

فتساءل عمرو بن عدى:

ـ وكيف لى بنائلة بنت عمرو وهى أمنع من عقاب الجو؟

*** نائلة تسأل الكهان**

سألت الزباء كاهنة عن أمرها وملكها فقالت لها الكاهنة:

ـ أرى هلاكك بسبب غلام مهين، غير أمين، وهو عمرو بن عدى، ولن تموتى بيده، ولكن حتفك بيدك

فحذرت نائلة بنت عمرو عمرو بن عدى، واتخذت نفقا فى مجلسها إلى حصن لها داخل مدينتها وقالت:

ـ إن فاجأنى أمر دخلت النفق إلى حصنى

*** صورة عمرو بن عدى**

دعت نائلة بنت عمرو رجلا مصورا أجود أهل بلادها تصويرا، وأحسنهم عملا لذلك، فجهزته وأحسنت إليه وقالت له:

ـ سر حتى تقدم على عمرو بن عدى متنكرا فتخلو بخدمه وتنضم إليه، وتخالطهم، وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور والثقافة له، ثم أثبت عمرو بن عدى معرفة، وصوره جالسا وقائما وراكبا وماشيا ومتسلحا بهيئته ولبسته وثيابه، فإذا أحكمت ذلك فأقبل على

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدى... ففعل ما أمرته نائلة بنت عمرو

ثم رجع إليها

*** الحيلة**

لما أخبر قصير بن سعد عمرو بن عدى بمقتل خاله وكيف قتله الزباء بيدها، **خطرت لقصير مكيدة** فقال لعمرو بن عدى:

ـ اجدع ـ اقطع ـ أنفى واضرب ظهرى ودعنى وإياها

فقال عمرو بن عدى:

ـ ما أنا بفاعل، ولا أنت بمستحق لذلك منى

فقال قصير بن سعد:

ـ أنا أطلب منك أن تفعل ذلك وسأطلعك على ما عزمت

فرضخ عمرو بن عدى لرأى قصير وقال:

ـ أنت أبصر

فجدع عمرو أنف قصير وأثّر بظهره

وما أن فعل ذلك عمرو حتى انطلق قصير بن سعد إلى الجزيرة، فلما لقى نائلة بنت عمرو قالت:

ـ ما الذى فعل بك يا قصير؟

قال قصير بن سعد:

ـ زعم عمرو بن عدى أنى خنت خاله وسلمته إليك لتقتليه واتهمنى بأنى زينت له السير إليك وغششته ثم مالأتك عليه، ففعل بى ما ترين، فأقبلت إليك، وعرفت أنى لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك.

انطلت على نائلة بنت عمرو حيلة قصير بن سعد، فألطفته وأكرمته، وأصابت عنده بعض ما أرادت من الحزم والرأى والتجربة والمعرفة بأمور الملوك.

ولما عرف قصير بن سعد أن الزباء قد أمنته ووثقت به قال لها:

ـ إن لى بالعراق أموالا كثيرة، وبها طرائف وثياب وعطر فابعثينى إلى العراق، لأحمل أموالى وأحمل إليك من حريرها وطرائف ثيابها وصنوف ما يكون بها من الأمتعة والتجارة، فتصيبين فى ذلك ربحا عظيما وبعض ما لا غني للملوك عنه.

ولم يزل قصير بن سعد يزين لنائلة بنت عمرو الأمر والربح الوفير حتى أذنت له بالسفر، ودفعت معه بتجارة، فسار بها حتى قدم العراق ثم انطلق إلى الحيرة

متنكرا فدخل على عمرو بن عدى.

*** بيدى لابيد عمرو**

أخبر قصير بن سعد عمرو بن عدى بالأمر وقال له:

ـ جهزنى بأنفس الثياب والأمتعة، لعل الله أن يمكننا منها فنأخذ ثأر جذيمة

فأعطى عمرو بن عدى قصير بن سعد حاجته، وجهزه بصنوف الثياب وغيرها

ورجع قصير بن سعد بذلك كله إلى نائلة بنت عمرو، فلما عرضه عليها **أعجبها ما رأت وسرها ما أتاها به وازدادت به ثقة وإليه طمأنينة.**

ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته به فى المرة الأولى، فسار قصير بن سعد حتى قدم العراق، وذهب إلى الحيرة فلقى عمرو بن عدى، وحمل من عنده كل **غال ونفيس، ولم يدع طرفة ولا متاعا قدر عليه إلا حمله إليها.**

وفى كل مرة تزداد ثقة نائلة بنت عمرو فيه أكثر

حتى عاد **المرة الثالثة** إلى العراق ومنها إلى الحيرة والتقى بعمرو بن عدى **وأخبره أن الوقت قد حان لتنفيذ الخطة** وقال له:

ـ خر الثقات من جندك وأصحابك وضع كل رجلين على بعير فى غرارتين

فقال عمرو بن عدى:

ـ كيف؟

قال قصير بن سعد:

ـ نجعل مقعد رءوس الغرائر من باطنها، فإذا دخلوا الجزيرة ـ مدينة نائلة ـ أقمتك على باب نفقها فلا تستطيع نائلة بنت عمرو الهرب منه، وأكون أنا قد أخرجت الرجال الأشداء من الغرائر فيأخذون أهل المدينة على حين غرة.

قال عمرو بن عدى:

ـ وإن أقبلت نائلة بنت عمرو باتجاه النفق؟

قال قصير بن سعد:

- إذا أقبلت باتجاه النفق قتلتها بسيفك، بعد أن تكون قد منعتها من الهرب فقال عمرو بن عدى:

- نعم الرأى

ولما اقترب قصير بن سعد من مدينة نائلة بنت عمرو، أسرع إليها وبشرها بالتجارة الرابحة وأعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب وغيرها.

وسأل قصير بن سعد نائلة بنت عمرو أن تخرج وتنظر إلى الإبل وهى تحمل تجارتها

لما توسطت الإبل المدينة أنيخت، ودل قصير بن سعد عمرو بن عدى على باب النفق... وأراه إياه

وأخرج الرجال من الغرائر فشدوا على الناس والحراس فى غفلة ووضعوا فيهم السيوف والرماح وأقبلت نائلة بنت عمرو ناحية باب النفق لتهرب. . . فرأت عمرو بن عدى قائما فعرفته من الصور التى لديها والتى صورها لها المصور.

وقبل أن يصل إليها سيف عمرو بن عدى، نزعت خاتمها من أصبعها وامتصت ما فيه من السم وقالت:

- بيدى لا بيدك يا عمرو.

فصارت مثلا.

وعاد عمرو بن عدى إلى العراق بعد أن صار له الملك بعد موت خاله جذيمة الوضاح .

المراجع

القرآن العظيم	
الكامل فى التاريخ	ابن الأثير
الطبقات الكبرى	ابن سعد كاتب الواقدى
الاستيعاب فى معرفة الأصحاب	ابن عبد البر
السيرة النبوية	ابن هشام
الإلياذة	هوميروس
أبو الفوارس عنترة	محمد فريد أبو حديد
الزير سالم	شوقى عبد الحكيم
الأغانى	الأصفهانى
تاريخ الأمم والملوك	الطبرى
فحولة الشعراء	الأصمعى
مجمع الأمثال	الميدانى
العقد الفريد	ابن عبد ربه
شرح التبريزى	
تاريخ اليعقوبى	
المهلهل بن ربيعة	محمد فريد أبو حديد
سير أعلام النبلاء	الذهبى
بلوغ الأرب فى أحوال العرب	الألوسى
حلية الفرسان وشعار الشجعان	ابن هذيل الأندلسى
الشعر والشعراء	ابن قتيبة
طبقات الشعر	ابن سلام

الفهرس

الموضوع	الصفحة

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة ـ نوسا البحر
☎٤٤١١٩١/ ٠٥٠